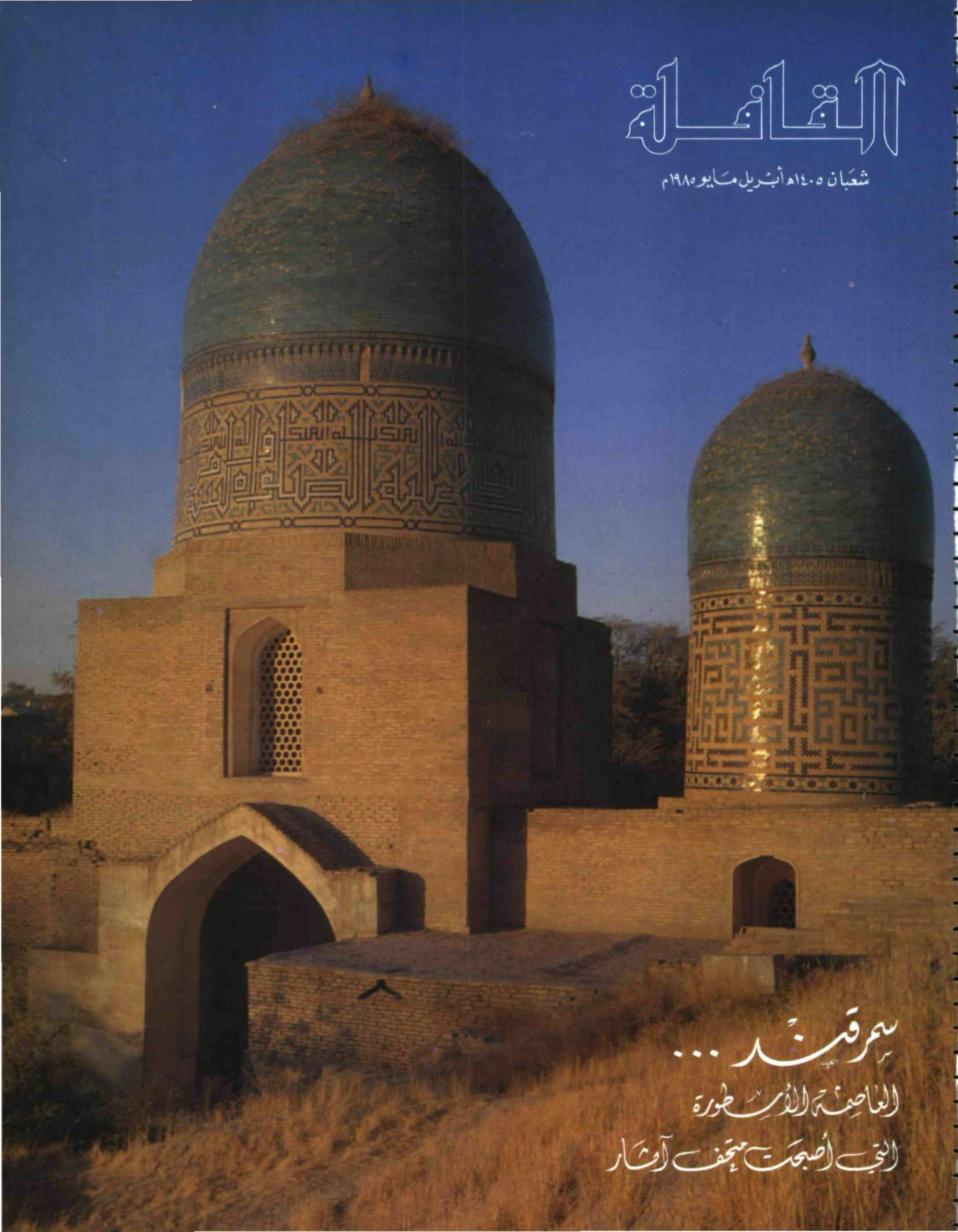

القافلة
شعبان ١٤٠٥هـ أبريل مايو ١٩٨٥م
سمرقند...
العاصمة الأسطورة
التي أصبحت متحف آثار

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
THE CARAVAN

APRIL / MAY 1985

شعبان ١٤٠٥هـ أبريل مايو ١٩٨٥م

العدد الثامن / المجلد الثالث والثلاثون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية
توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك

صورة الغلاف

بعض آثار « شاه زنده » في سمرقند ، وتبدو عليها النقوش الاسلامية الجميلة .

تصوير : جون فيني



استخراج المعادن من أعماق البحر الأحمر



مزارع لكل الفصول


صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام

Designed & Printed By Al-Wafa P. Press- Dammam



ظاهرة التكرار في القرآن

بقلم : د. عبدالفتاح محمد سلامة / المدينة المنورة

الذي يتصفح القرآن الكريم : يلمس ظاهرة تثير انتباهه ، وتلفت نظره ، وهي ظاهرة تكرار بعض الآيات في كثير من السور ، خاصة السور المكية.

والقرآن في واقعه : كتاب التربية لهذه الأمة ، بل الانسانية كلها ، وان مبادىء التربية وأقوال التوجيه لا يكفي أن ترد مرة واحدة ، والا فقدت فاعليتها ، وخمد تأثيرها .. فاذا ما فقهنا هذا المعنى ، أدركنا سر التكرار الوارد في كتاب الله .. انه نوع من أنواع التربية والصقل والتهذيب :

﴿ **ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..** ﴾ ق/٣٧ .. على أننا حين نتلوه على صورته في المصحف ، لا نجد فيه تكرارا حقيقيا ، بالمعنى المفهوم من اللفظ ، انما نجد ظاهرة أخرى ، تستحق أن نقف أمامها ، من حيث هي جمال فني في التعبير ، ومن حيث هي اداة للتأثر الوجداني .

قليل جدا من الآيات أو العبارات : هي التي وردت بنصها ، أكثر من مرة في القرآن ، لأمر مقصود .. جاءت هذه الآية : ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ..** ﴾ .. في موضعين من القرآن ، في سورة التوبة/٧٣ ، وفي سورة التحريم/٩ ، للتذكير وشحذ الهمة ، لمقاتلة الكفار والمنافقين .. وجاءت حكاية قول الكفار : ﴿ **ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ..** ﴾ .. في اكثر من موضع : في سورة النمل/٧١ ، وفي سورة يس/٤٨ ، وفي سورة الملك/٢٥ .. كما جاءت في صيغة أخرى في سورة السجدة/٢٨ : ﴿ **ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ..** ﴾ .

والمقصود من هذا التكرار : الإشعار بأنهم يكثرون من ترديد هذه الأقوال ، ويلحون في التحدي ، وفي طلب الآية .. وفيما عدا هذا القليل النادر : الذي يكرر بلفظه لهدف مقصود ، نجد أن الظاهرة الحقيقية : ليست هي « التكرار » وانما هي « التنويع » .. ولقد قال العلماء : ان أي محاولة لتصور اللفظ منفصلا عن المعنى ، أو المعنى منفصلا عن الأسلوب ، هي محاولة خاطئة منذ البدء .. فالمعاني المجردة ليست هي التي تعطينا التأثير الحقيقي ، انما الذي يمدنا بالتأثير المطلوب ، هو اجتماع هذه المعاني على نحو معين من التناسق ، يعطيها ملامح محددة .

وإذا كان الأمر كذلك في الكلام بصفة عامة : فهو كذلك في القرآن بصورة أدق ، وخاصة حين نتحدث عن ظاهرة التكرار في القرآن .. ففيما عدا

النصوص النادرة التي أشرنا اليها : لا يوجد نصان متماثلان في القرآن كله !!! إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل . تشابه كذلك الذي قد يوجد بين الأخوة أو الأقارب ، ولكنه ليس تكرارا بحال من الأحوال .

انّه مثل ثمار أهل الجنة ، فهم حين يتناولون الثمرة لأول وهلة ، يقولون : هذا الذي رزقنا من قبل ، فاذا تذوقوه : عرفوا انه مختلف عنه، يشبهه ولكنه لا يماثله ، ومن ثم يعيشون في مذاقات متجددة على الدوام ، وان بدت انها مكررة .(١)

وهناك ملاحظة هامة يجب تقريرها هنا : وهي ان كل سورة من سور القرآن على اطلاقها ، لها شخصيتها المتميزة ، وجوها الخاص ، وكل نص من نصوص القرآن — وإن بدا متشابها — فانه يأخذ جو السورة التي يرد فيها ، ومن ثم يكون له ملامحه الخاصة في كل مرة .

أحيانا تتقدم كلمة ، أو تتأخر كلمة ، بذاتها أو مع تغيير في ملامحها : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض** .. ﴾ النور/٥٥ .. ﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** .. ﴾ الفتح/٢٩ .. وأحيانا يتغير حرف واحد : ﴿ **وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** .. ﴾ النحل/١٤ . ﴿ **وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** .. ﴾ .. فاطر/١٢

المهم الا تجيء الملامح كلها مرتين : انما يحدث في كل مرة نوع من التغيير .. وهناك سور ، فيها مجموعة من القصص مكررة ، هي قصص نوح وهود وصالح وشعيب مع أقوامهم المكذبين .. أما السور فهي : سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء ، والقصة ترد في كل من السور الثلاث ، بالنسبة لكل واحد من هؤلاء الأنبياء ، بما يوهم ان هناك تكرارا في المفردات والمجموع .

ولا يخفى أن إيراد هذا اللون من القصص له مقاصد وأهداف : فمن مقاصده إبراز حقيقة معينة : هي أن كل الرسل قد جاءوا بكلمة واحدة من عند الله : لا إله إلا الله .. وبقضية واحدة يبلغونها للناس : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

ومن مقاصده كذلك : إبراز حقيقة أخرى : هي أن كل الأقوام قد كذبت رسلها ، ولم تستجب لما جاءها من عند الله .

ومن مقاصده أيضا : بيان أن الله نجّى رسله ، مع الذين آمنوا بهم ، ودمر المكذبين .

واذا كان تكرار القصص أمرا مقصودا لذاته ، للمقاصد التي أشرنا اليها آنفا ، فان التنويع امر مقصود كذلك ، لأن منزل هذا الكتاب — جل وعلا — يعلم طبيعة الانسان ، ورغبته في التنويع .. ومن ثم تجمع القصة بين التكرار المطلوب والتنويع المرغوب .

ويلاحظ أن قصة موسى وفرعون ، أو قصة بني اسرائيل عامة ، من أكثر القصص تكرارا في القرآن كله ، وكان ذلك لهدفين :

الأول : هو ذكر ما كان يلقاه بنو اسرائيل من عذاب في ظل فرعون ، وصبرهم على هذا العذاب ، تأسية للمسلمين في مكة ، حيث كانوا يلقون العذاب والاضطهاد من قريش ، فتكون قصة بني اسرائيل عزاء لهم ، حيث انهم ليسوا وحدهم في هذا البلاء ...

ويدخل في هذا الهدف — كذلك — موقف السَحَرة حين آمنوا ، فهددهم فرعون بالتقتيل والتعذيب والصلب في جذوع النخل ، فارتفعوا بالايمان ، وتسامت أرواحهم فوق ما يملك فرعون من جبروت ، معتزين بعقيدتهم ، راضين باسلامهم .

الثاني : هو أن بني اسرائيل هم الأمة التي قامت حياتها — قبل المسلمين — على كتاب منزل من عند الله ، ثم لم يستقيموا على ما أمرهم الله به ، بل ظلوا ينحرفون عنه شيئا فشيئا ، حتى كادوا يخرجون من ظله .

﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه ؟ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون** .. ﴾ .. الأعراف/١٩٩ .

لذلك كثر ورود قصة بني اسرائيل ، في العهد المكي ثم المدني كذلك ، تحذيرا للمؤمنين ان ينحرفوا كما انحرف بنو اسرائيل ، ويتهاونوا في كتابهم لقاء عرض الحياة الدنيا .. كما تهاونت بنو اسرائيل ..

لهذا وذاك ، بالاضافة الى الأهداف العامة للقصص القرآني : من تركيز على جانب العقيدة ، ومراعاة لنفوس المخاطبين ، وتلوين في العبارات والأساليب ، تحقيقا للأسوة المنشودة ... كان ورود قصة بني اسرائيل مكررا في القرآن ... وللأسباب نفسها : كان تكرار القصص القرآني بعامة .. ومع ذلك فلا توجد صورة مكررة ، بمعنى التماثل مع أية صورة أخرى ، في أثناء هذا القصص المتكرر كله . □

الشّعر والعوامل المؤثرة فيه

بقلم : الدّكتور جميل علوش / الأردن

حديث النقاد والدارسين عن العوامل المؤثرة في الشعر واسع ومتشعب، بل هو حديث مبالغ فيه وخارج عن الحدود التي يمكن ان نتلمس الفائدة في نطاقها. ان هذا الحديث يكاد يشمل معظم كتب الأدب والنقد. فنحن لا نكاد نعثر في هذه الكتب الا على حديث عن العوامل التي اثرت في الشعر والشعراء، فتركت ميسمها على موضوعاتهم وعواطفهم وادواتهم الفنية بل صبغت شعرهم بصبغة هي ليست من صنع ارادتهم ولا من وحي انفسهم بل هي قدر مقدر عليهم وسيف مصلت، على رقابهم ليس لهم طاقة على دفعه ولا حيلة في رده.

ويذكر النقاد من هذه العوامل المؤثرات الاجتماعية والسياسية والفكرية والنفسية. ولذلك درجوا على التطرق الى هذه الموضوعات عند ارادة الكتابة عن أي شاعر سواء كانت هذه الكتابة موجزة أو مسهبة، وسواء كان المقصود بها الحديث عن الشاعر أو عن شعره. فليس عند النقاد فرق بين الشاعر وشعره. فشخصيته صورة عن بيئته، وشعره صورة عن شخصيته. ويبدو من ثم انه لا مناص من التطرق لبيئة الشاعر عند الحديث عن شعره مهما كانت الاعتبارات.

ولم يكن العرب في القديم يهتمون بالحديث عن بيئة الشاعر. فاذا ذكروا شيئا من اخباره فمن قبيل حب الاستطلاع والرغبة في التعرف الى الشاعر لا من قبيل تلمس الصلة الموجبة بينه وبين بيئته. واذا حصل شيء من هذا القبيل في الماضي فهو قليل. فقد اشاروا في ملاحظات شاردة الى تأثير البيئة في الشاعر فقالوا : «من بدا جفا» ويعنون بذلك ان ابن البادية يمتاز بالخشونة والغلظة بعكس ابن الحاضرة الذي يمتاز بالرقة والنعومة في شخصه وفي شعره. ويضربون مثلا على ذلك بعلي بن الجهم الذي مدح احد الامراء بشعر خشن فاشار الامير بأن ينتقل الى الرصافة. وهناك نظم هذا الشاعر قصيدة رقيقة مطلعها :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

كان الحديث عن المؤثرات الخارجية في الشعر اذن لمحات خاطفة، حتى برزت طلائع النهضة الحديثة وزاد احتكاك العرب بالغرب وتأثروا بما انتجوا في مختلف الميادين الحضارية.

وكانت قد ظهرت اتجاهات نقدية جديدة في اوروبا، من ابرزها اتجاه قاد لواءه «سانت بيف» و «هيبوليت تين» على اختلاف قليل او كثير بينهما — يقول بان الأدب هو ابن البيئة والعصر والجنس وانه ثمرة هذه العناصر الثلاثة.

وعلى الرغم من بروز نظريات جديدة تناقض ما جاء به هذان الناقدان، فما زال النقاد والدارسون في العالم العربي متمسكين بهذه النظرية تمسكا اقرب ما يكون الى الانقياد والتبعية. فهي تدخل في كل دراسة وكل بحث. ولا يمكن ان يتصدى دارس لشاعر دون ان يبحث عن علاقته ببيئته وعصره وجنسه. وقد اصبح هذا التقليد نهجا متبعا في كتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، فيبذل الطالب كثيرا من الجهد في تسليط الاضواء على

تاريخية تبحث عن جذور الاشخاص الذين كتبت الرسائل عنهم. ومسوغ ذلك كله هو القول المتداول من ان الانسان ابن بيئته وعصره. هذا بالاضافة الى ان الكتابة في تاريخ الاشخاص هو مركب وطيء ومنهج سهل. وقد اصبحت الرسائل الجامعية لذلك كتابات في التاريخ ما دامت تبدأ من العصر والبيئة وتنفذ من ثم الى سيرة المترجم له من الادباء او الشعراء او الفلاسفة او رجال التربية الخ ..

ولا يخفى على بعض المشرفين ما تعنيه كلمة التأثر والتأثير في الدراسات الادبية فيصرون على تلمس هذا التأثير والبحث عنه ومحاولة استكشافه قدر الامكان. ولذلك ينصحون طلبتهم بعدم ايراد شيء في عصر الاديب ليس له علاقة بحياته ولا ايراد شيء في حياته ليس له علاقة بأدبه. بل يطالبون الطالب باقامة صلة وثيقة بين الفصل والفصل الذي يليه. وهم يرفضون لذلك ان تكون دراسة العصر والبيئة عملا رتيبا يقدم الدارس عليه بحكم العرف والعادة ودون ان يكون لها مسوغات تجعل وقوعها في مكانها كوقوع الاساس في البناء الشامخ. وهم يبدون في هذا المجال ملاحظات نستطيع ايجازها فيما يلي:

★ ان يكون الحديث عن البيئة والعصر موجزا جدا.

★ ان تقوم علاقة وثيقة بين عصر الاديب وحياته وانتاجه.

★ ان يكون تلاحم وثيق بين الفصل والفصل بحيث يؤدي الفصل الواحد الى الذي يليه بصورة طبيعية ودون قسر او اكراه.

فالحديث عن العصر والبيئة ليس عملا مقصودا لذاته بحيث يندفع الدارس دون توقف لا يراد مختلف التفصيلات عن العصر الذي يريد تقديم صورة عنه. والا كان عليه ان يورد تاريخ العصر كله قبل ان ينفذ للحديث عن الشاعر وانتاجه. ولما كان عدد الاشخاص البارزين في العصر الواحد يستعصي على الحصر كان على الدارس ان يعيد ما كتبه الآخرون في وصف هذا العصر عند التطرق لدراسة اديب او شاعر. وهذا بلا شك ضرب من العبث واضاعة الجهد. ولذلك يوحي خبراء المنهجية بالايجاز ما امكن كما اسلفنا عند معالجة هذا الموضوع واختيار ما له تأثير لا يخفى في الشاعر وانتاجه والا اصبح الجانب التاريخي في الدراسات الجامعية ضربا من التكرار والاعادة ووقوع الحافر على الحافر. فوصف العصر والبيئة لا يعني اكثر من تلمس الاحداث والوقائع التي كان لها اثر في صياغة شخصية الشاعر وانتاجه ان كان ثمة احداث من هذا القبيل. فلئن كان للبيئة والعصر تأثير في حياة الاديب وشخصيته فان تأثيرها في ادبه غير ظاهر ولا ملموس. وبخاصة من الناحية الفنية لأن الناحية الموضوعية قد تتأثر بالعصر والبيئة من قريب او بعيد. ولهذا كان الشعراء الكبار في العصر الواحد صورا متباينة متفاوتة. وكان كل منهم شخصية فريدة منفردة وعالما قائما بذاته.

وما دمنا في حديث التأثر والتأثير فلا بد من التطرق الى ناحية مهمة بالغ فيها النقاد مبالغة كبيرة وهي موضوع تأثير الاجناس والثقافات في انتاج الاديب. فلقد كان هذا الموضوع كأنه السحر في شدة تأثيره في الدارسين والنقاد. فمن الافراط في اعتقادهم بتأثير الجنس في انتاج الاديب تركيزهم على ما يحمل ابن الرومي من خصائص فنية لا تكون موجودة على زعمهم الا في الجنس اليوناني. وكذلك ادعاؤهم بأن ابا تمام يوناني الاصل وان عبقريته قد انحدرت اليه من اصله اليوناني. وكذلك قل في سيبويه الفارسي وغيرهم وغيرهم.

اما تأثير الثقافة فهو اشد وادهى. فلقد زعموا ان النهضة الشعرية في العصر العباسي كانت بفضل الحضارة الفارسية والثقافة اليونانية. وقد زعم الدكتور طه حسين ان عبد الحميد الكاتب كان يتقن اليونانية مما مكنه من انشاء مذهب جديد في الكتابة الفنية. وقد زعم الدكتور لويس عوض ان ابا العلاء المعري تأثر بمكتبة دير الفاروس في اللاذقية. وقد تصدى له محمود شاكر في كتابه «اباطيل واسمار» واثبت بطلان هذه التهمة.

وفي العصر الحديث نسبوا عبقرية شوقي وطه حسين ومطران الى ثقافتهم الفرنسية. وكذلك ذكروا عن الاخطل الصغير وكادوا يلصقون هذه التهمة بحافظ ابراهيم والمنفلوطي لولا انهما لم يكونا يتقنان الفرنسية على الرغم مما قاما به من ترجمة تمت بمساعدة الآخرين.

وصفوة القول اننا لا نتناول في الكتابة الادبية والنقدية في ايامنا هذه الا حديث المؤثرات. والمطلوب هو ان نكتب عن الشعر. واذا كان لا بد من الكتابة عن المؤثرات فلتكن تلك الكتابة موجزة وبقدر معين. والافضل ان نعالج الشعر على انه فن مستقل لا على انه طائفة من الاخبار والروايات والاتجاهات الوطنية.

واخطر ما يواجهنا في حياتنا الادبية ان نستعيض عن دراسة الشعر بدراسة العوامل المؤثرة فيه وان يصبح النقد اشتاتا في الكتابة الصحفية في التاريخ والسياسة والاجتماع. □



انعتاق



شعر : محمد فهمي سند / ظهران الجنوب

عَانقيني .. كلَّما بعْثرني ليلُ ظنوني
فوقَ أشواك الصبابات وأغصان الحنين
تتشهّى نفْسِيَ الحْيرَىٰ أهَازيجَ السُكون
ترتمي بينَ السراديبِ كَسِرٍّ مُستَكين
هـٰذه الرّعشة ...
نامت بين شدوي وأنيني
لملميني من صحْارىٰ اليأس يا خُضر الغُصُون
دَثِّريني بالأفَاويق .. بأنسَام اللحُون
واتبعيني أينما سرت وشقّي لي جفوني
وافتحي صفحة فجر الحبِّ في السَفر المصون
مزّقي الأغلال ...
فالأغلال من ماءٍ وطين
واحمليني يا منى الحائِر للنّبع .. احمليني
واتركيني للتَرانيم .. لأحضان الشُجون
فلقد مزّقني الصَبرُ على دربِ المُنُون
رُبّما تهدأ هـٰذي النَفس ...
من نار الجُنُون





تجربة علميّة جديدة

استخراج المعادن من أعماق البحر الأحمر

يوسف خالد أبو بشيت / هيئة التحرير



تعكف حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة السودان منذ ثماني سنوات ونيّف، على تنفيذ مشروع مشترك بينهما يستهدف اجراء سلسلة من التجارب العلمية في مياه البحر الاحمر، بغية استخراج المعادن المترسبة في طين القاع مثل الفضة والنحاس والزنك. وتعتمد هذه التجربة الجديدة التي يجري العمل على تنفيذها حاليا، على التقنية الحديثة للحصول على المعادن من اعماق البحر الأحمر بعد تنقيتها من الشوائب.

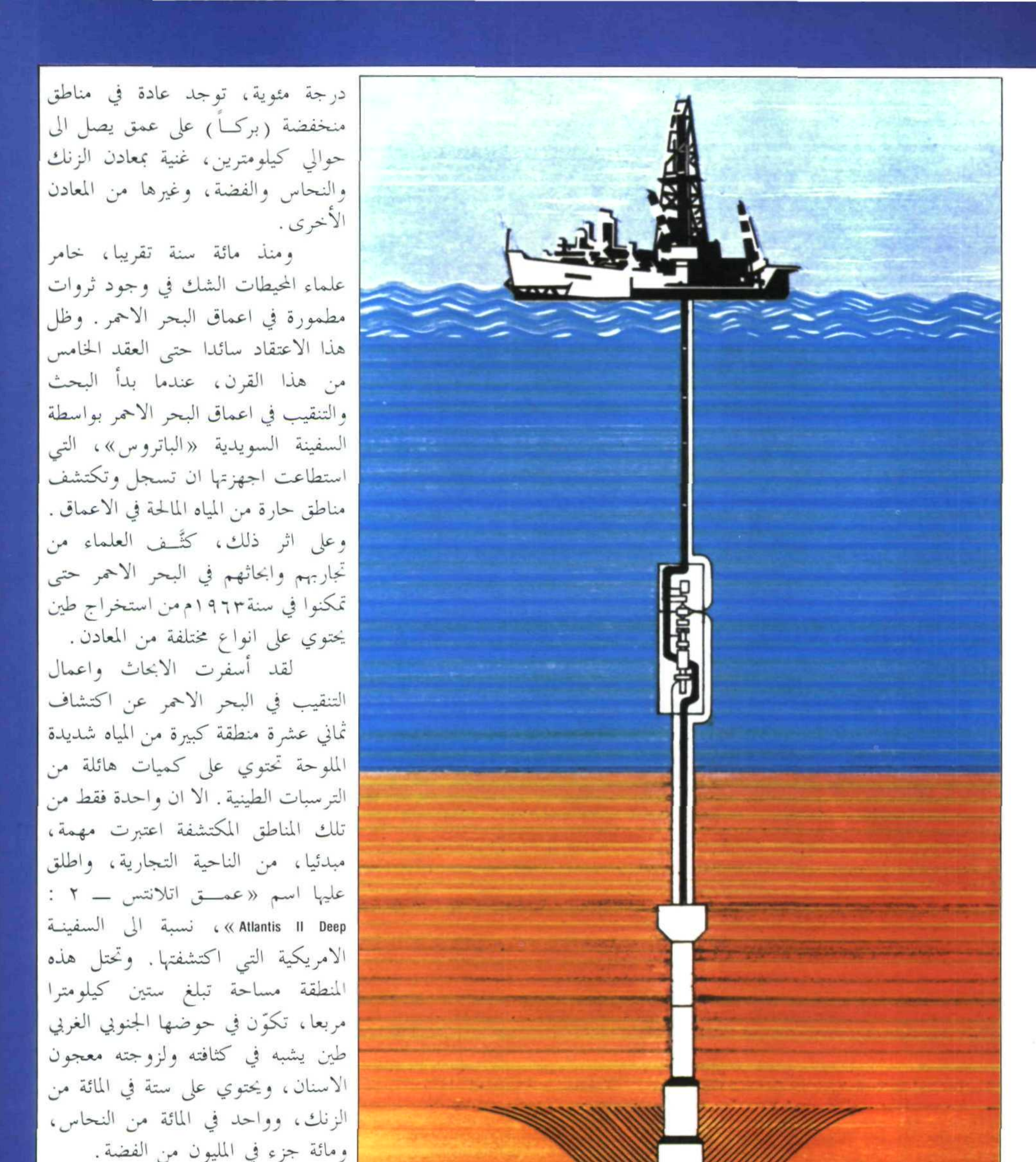
وبتكليف من الهيئة السعودية السودانية المشتركة، تقوم شركة تعدين المانية بأعمال البحث والتنقيب عن الطين الغني بالمعادن في اعماق البحر الاحمر. ويعتقد المختصون في شؤون التعدين انه في حال نجاح هذا المشروع ستتمكن التقنية الحديثة من ايجاد الوسائل والسبل الكفيلة باستخراج طين قاع البحار الى السطح، لاستخلاص المعادن منه.

وتجري الهيئة المشرفة على تنفيذ هذا المشروع المشترك تجاربها الآن في طبقة كثيفة من الطين، يبلغ سمكها ثلاثين مترا تقريبا، تراكمت على مدار آلاف السنين في المناطق العميقة من وسط البحر الاحمر، والتي تبعد مائة كيلومتر تقريبا عن مدينة جدة. وقد اكدت الابحاث والتجارب على ان ينابيع المياه المالحة، والتي تبلغ حرارتها ٦٠

درجة مئوية، توجد عادة في مناطق منخفضة (بركاً) على عمق يصل الى حوالي كيلومترين، غنية بمعادن الزنك والنحاس والفضة، وغيرها من المعادن الأخرى.

ومنذ مائة سنة تقريبا، خامر علماء المحيطات الشك في وجود ثروات مطمورة في اعماق البحر الاحمر. وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى العقد الخامس من هذا القرن، عندما بدأ البحث والتنقيب في اعماق البحر الاحمر بواسطة السفينة السويدية «الباتروس»، التي استطاعت اجهزتها ان تسجل وتكتشف مناطق حارة من المياه المالحة في الاعماق. وعلى اثر ذلك، كشَّف العلماء من تجاربهم وابحاثهم في البحر الاحمر حتى تمكنوا في سنة ١٩٦٣م من استخراج طين يحتوي على انواع مختلفة من المعادن.

لقد أسفرت الابحاث واعمال التنقيب في البحر الاحمر عن اكتشاف ثماني عشرة منطقة كبيرة من المياه شديدة الملوحة تحتوي على كميات هائلة من الترسبات الطينية. الا ان واحدة فقط من تلك المناطق المكتشفة اعتبرت مهمة، مبدئيا، من الناحية التجارية، واطلق عليها اسم «عمــق اتلانتس ــ ٢ : Atlantis II Deep »، نسبة الى السفينة الامريكية التي اكتشفتها. وتحتل هذه المنطقة مساحة تبلغ ستين كيلومترا مربعا، تكوّن في حوضها الجنوبي الغربي طين يشبه في كثافته ولزوجته معجون الاسنان، ويحتوي على ستة في المائة من الزنك، وواحد في المائة من النحاس، ومائة جزء في المليون من الفضة.



رسم توضيحي يبين الطريقة المتبعة في استخراج الطين الغني بالمعادن من اعماق البحر الاحمر.

ويعتقد العلماء ان من بين الاسباب التي أدت الى تكوين هذه الكميات الهائلة من الترسبات الطينية، الانجراف او الانفصال الذي حدث في قشرة الارض بين افريقيا وشبه الجزيرة العربية. واذا ما استمر هذا الانجراف بمعدله المعروف حاليا، والذي يقارب في العرض من عشرة كيلومترات كل مليون سنة، فان البحر الاحمر سيتحول على مدار الزمن الجيولوجي تدريجيا الى محيط. ان المياه المترشحة الى الاعماق تذيب في طريقها المعادن والاملاح من الصخور، ومع ارتفاع درجات الحرارة عند الاعماق تصل الضغوط الى درجات عالية جدا متسببة في حدوث تيارات مائية ساخنة تندفع رأسيا الى السطح حاملة معها ابخرة ومحاليل غنية بعناصر معدنية، وعند اختلاطها مع المياه الباردة الموجودة على السطح، تنفصل المعادن وتتداخل مع الرسوبيات مشكلة بذلك طينا غنيا بالمعادن.

وحتى تكون عملية استخراج الطين من المناطق العميقة ذات فائدة ومردود تجاري، فقد روعيت جدواها الاقتصادية. وتبعا لذلك شكلت كل من حكومة المملكة وحكومة السودان، في سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) هيئة مشتركة انيطت بها مهمة المتابعة والاشراف على الابحاث الرامية الى تطوير هذه المصادر من خلال دراسات مستفيضة.

وفي سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، باشرت السفينة «سدكو - ٤٤٥»، وهي سفينة مختصة بأعمال الحفر جهزت بأحدث معدات التعدين، عملية استخراج الطين من قاع البحر، وذلك باستخدام انابيب فولاذية مزودة برأس ماص، يندفع من خلاله الطين الغني بالمعادن الى السطح. ولتسهيل هذه المهمة قام المهندسون المختصون بخلط الطين بماء البحر، لينساب بيسر، عبر الانابيب، الى مكان استقباله على ظهر السفينة.

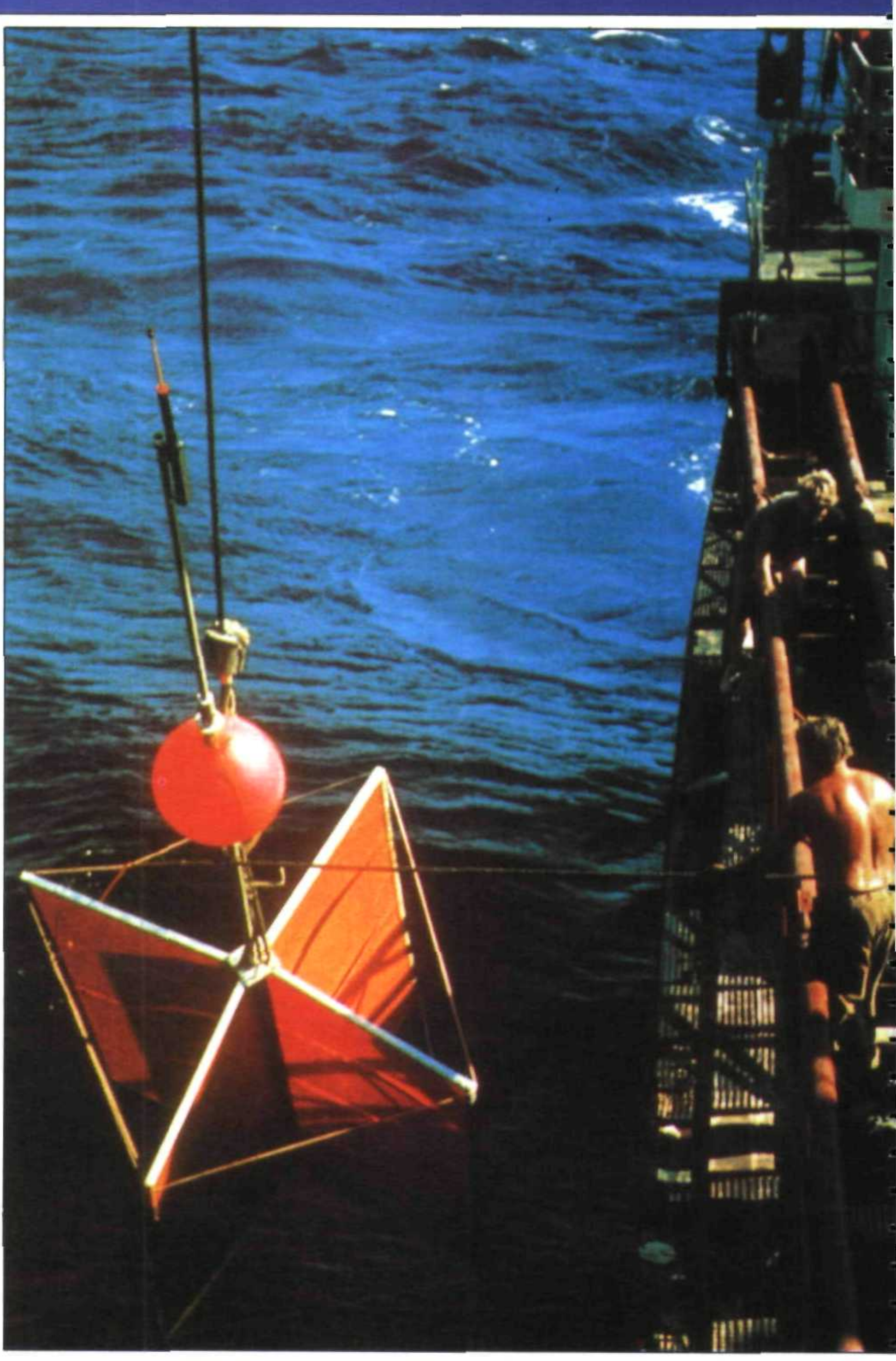
وباستخدام هذا الاسلوب، تمكنت الهيئة المشتركة من خلال تجربتها التعدينية المبدئية التي استغرقت ثلاثة اشهر، من ضخ ١٥٠٠٠ متر مكعب من الطين والماء الملح الى السطح لمعالجته واجراء التحاليل المخبرية عليه.

ومن ناحية اخرى، تجرى على اليابسة عملية استخلاص المعادن المتجمعة من الطين بواسطة عملية يطلق عليها علميا اسم «الرغوة الطافية — Froth Flotation»، من خلال مرحلتين متتابعتين من المعالجة. ففي المرحلة الاولى، يتم فصل جزيئات الطين عن ماء البحر باستخدام محلول كيميائي يساعد تلك الجزيئات على ازالة الماء منها. وبعد ذلك يعرض الخليط لعملية اثارة وتهيج، مما يتيح للهواء المندفع خلال الخليط من التقاط الجزيئات مكونة بذلك رغوة من المعادن، تأخذ طريقها الى السطح ليتم كشطها على فترات.

ومن المهام المنوطة بالمهندسين العاملين على ظهر سفينة الابحاث هذه القيام بسلسلة من التجارب المتتابعة بغية تقدير كمية المعادن المستخرجة من الطين، ومعرفة مدى مردودها التجاري. وتبعا لذلك، فانه ينبغي استخراج ومعالجة ما لا يقل عن ٤٠٠ الف طن متري يوميا من خليط الطين والمياه المالحة. ونظرا لضآلة حجم جزيئات الطين، والتي يقل قطر ٨٠ في المائة من جزيئاتها عن ميكرونين (الميكرون = $\frac{١}{٥٠٠}$ من المليميتر)، فانه لا بد من ترشيح هذه الجزيئات وتصفيتها بطريقة الرغوة الطافية، او بأي طريقة تقنية مماثلة.

ومما هو حري بالذكر ان التجارب البحرية الاولية كانت ناجحة، بدليل ان عامل التركيز فيها تراوح ما بين ٨ و ١٠ مرات، مما ساعد على استخراج ما بين ٦٠ و ٧٠ في المائة من الطين، الذي يحتوي على ٣٢ في المائة من





المعادن باتباع اسلوب « Metal Chloride Leaching » واسلوب «التنقية بضغط الاوكسجين ــ Pressure Oxygen Leaching » وعلى الرغم من ان نتائج هاتين الطريقتين كانت مشجعة، فان هناك مشكلة رئيسية يواجهها المهندسون حيال هذه العملية الا وهي التآكل الناشيء عن المياه الدافئة المالحة والطين. وعلى ضوء ذلك فان الهيئة السعودية السودانية المشتركة ستلجأ الى اجراء تجارب تعدينية اولية لانتاج طين خال من الاملاح بمقدار واحد من عشرة من طاقة العمليات التجارية.

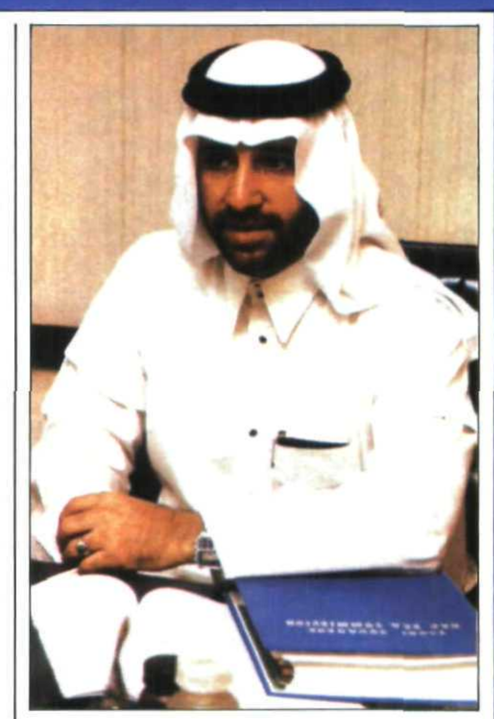
إنّ اهداف هذا المشروع لا تنحصر في قيمته او مردوده الاقتصادي فحسب، بل في اتاحة المجال امام الجيولوجيين السعوديين والسودانيين لاكتساب الخبرة بانخراطهم في هذا المشروع، الذي يعتبر رائدا لعمليات تعدين اعماق البحار.

وفي لقائنا مع الدكتور «زهير نواب»، الأمين العام المساعد للهيئة السعودية السودانية المشتركة في جدة، حدثنا عن اهمية هذا المشروع الحيوي المشترك، فقال: «اذا ما نظرنا الى المردود الاقتصادي من التعدين في البحر الاحمر، فانه لا يمكن مقارنته بعائدات البترول بالطبع، ولكنه يعتبر جيدا عند مقارنته بمردود عمليات التعدين على اليابسة. وسوف نقوم بادخال تعديلات او تحسينات على بعض المعدات المستخدمة في التعدين البحري وصولا الى تحقيق الهدف المنشود، وقد حققنا جانبا مهما في مجال تعديل تلك المعدات

سفينة الابحاث الالمانية، التي شاركت في اعمال الابحاث الرامية الى معرفة مدى امكان الاستفادة من المشروع تجاريا، والتأكد من سلامة البيئة والحياة البحرية.

الزنك، و ٥ في المائة من النحاس و ٠,٠٧ في المائة من الفضة.

وعلى الرغم من الانجازات الآنفة الذكر، فان ثمة عمليات اخرى لا بد من القيام بها على اليابسة، وذلك لعزل كل معدن على حدة. وتحقيقا لذلك، اقترح ان تكون المدينة الصناعية الجديدة في ينبع على البحر الاحمر موقعا لاقامة المعمل لمعالجة الكميات الكبيرة المستخرجة من قاع البحر الاحمر، والتي يمكن معالجتها اما بالصهر او بمحاليل كيميائية. ونظرا لان عملية الصهر هذه تحتاج الى توفر مادة خام خالية من الاملاح، فقد اجريت تجارب مخبرية على استخلاص



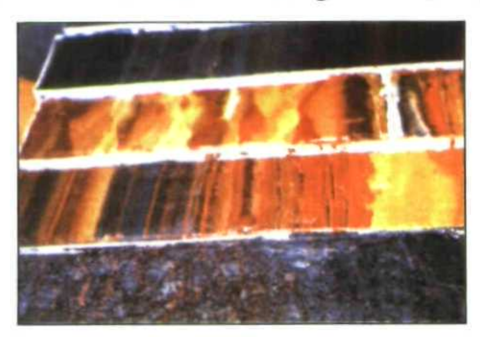
الدكتور زهير نواب، الامين العام المساعد للهيئة السعودية السودانية المشتركة لمشروع البحر الاحمر.

لتتواءم مع طبيعة المنطقة. وقد قمنا بتسجيل حق اختراعها دوليا، كما توفرت لدينا معلومات وافية وقيمة عن طرق التعدين وحماية البيئة في البحر الاحمر، وقد تهيأت لنا فرص واسعة للتدريب العملي لم تكن مهيأة للكثير من السعوديين والسودانيين من قبل».

لقد كان لمشروع التعدين المشترك في مياه البحر الاحمر جانب ايجابي في مباحثات هيئة الامم المتحدة حول مشروع اتفاقية قانون التعدين في البحار، والذي استغرقت مناقشاته قرابة عقد من الزمن. وحري بالذكر ان حكومة المملكة تقوم بتمويل هذا المشروع الحيوي بالكامل، على ان تحسم هذه النفقات عند البدء بالانتاج بكميات تجارية.

ولعل من بين المشكلات التي تواجه هذا المشروع هي ان عملية التعدين في اعماق البحر قد تؤثر تأثيرا مباشرا على الحياة البحرية مما يستدعي اللجوء الى علم «التبيؤ»، وهو علم يدرس العلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها، للتأكد من ان عملية التعدين التجارية، والتي تتطلب استخراج ٤٠٠ الف طن متري في اليوم من الطين والماء، لن تؤثر على البيئة البحرية. وفي هذا الصدد يقول الدكتور زكي مصطفى، الأمين العام للهيئة المشتركة: «اذا ما تبين لنا ان هناك خطرا يهدد الحياة البحرية من جراء عملية التعدين في البحر الاحمر، فقد يضطرنا ذلك الى تعليق البرنامج ككل».

ومن ناحية اخرى، فقد اثبتت الدراسات والابحاث انه لن يكون لعمليات التعدين هذه اي تأثير ذي شأن على البيئة البحرية. ولقد اثبتت



عينات مختلفة من طبقات الطين الغني بالمعادن.

الدراسات التي اجريت بهذا الشأن على انه ليس هناك أي تلوث في الماء أو أي نقص في كمية الضوء النافذ الى الماء الذي يشكل عنصرا اساسيا لمقومات الحياة البيولوجية. واضافة الى ذلك، فقد جرى خلال التجارب اضافة عنصر كيميائي الى بقايا الطين ليسهل على المهندسين تتبع العمليات البيولوجية في اعماق البحر بشكل دقيق. وبعد مرور زهاء سنتين على بدء الدراسات والفحوص التعدينية الاولية، والتي أخذت خلالها عينات كيميائية تبين انه ليس هناك أي تأثير يذكر على الصخر البحري المرجاني أو على الاحياء البحرية في البحر الاحمر.

وفي الآونة الاخيرة، تلقت الهيئة المشتركة معلومات مفادها ان احد المبتعثين السعوديين لاكمال رسالة الدكتوراة، توصل في ابحاثه، التي يجريها في سان فرانسسكو بالولايات المتحدة الامريكية، الى ان جزيئات الزنك الموجودة في مياه البحر الاحمر تكون طبقة رقيقة من الاوكسيد، مما يساعد على سرعة ترسبها الى القاع وبالتالي سيقلل من المخاطر التي قد تشكلها هذه المادة على الحياة البحرية.

وبعد .. فان احتمالات نجاح هذا المشروع الحيوي كبيرة جدا، وانه سيصبح في نهاية المطاف مشروعا علميا تجاريا، ذا فائدة عظيمة. وفي هذا الصدد يقول الدكتور زهير نواب: «ان الأدلة والبراهين التي في حوزتنا، تشير الى ان هذا المشروع سيكون قابلا للتطبيق والنمو تجاريا. ولدى الانتهاء من التجارب التعدينية، التي نقوم بها، ستتوفر لنا معلومات وبيانات كثيرة ستمكننا من تقرير المتطلبات اللازمة لعملية التعدين. ويحدونا الامل في ان نكون في المستقبل القريب، اول من يقوم بانتاج وتسويق معادن مستخرجة من اعماق المحيطات، ان شاء الله» □

بتصرف عن مجلة «ارامكو وورلد»

النشاط الاقتصادي في المغرب العربي

من القرن التاسع / الخامس عشر الى القرن الثاني عشر / الثامن عشر

بقلم: د. نقولا زيادة / بيروت

عنيت دولتا اسبانية والبرتغال، منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي، بالبحث عن طريق يوصلهما الى الهند، في محاولة للتخلص من احتكار المماليك (٦٤٨ــ٩٢٣هـ/١٢٥٠ــ١٥١٧م) للتجارة الشرقية وخاصة تجارة التوابل والطيوب. لقد فرض المماليك هذا الاحتكار ليفيدوا منه افرادا ــ سلاطين واصحاب نفوذ ــ رغبة منهم في الوفاء بحاجاتهم الادارية والعسكرية والشخصية. ولما كان تجار المدن الايطالية، وفي مقدمتها البندقية، هم الذين تعاملوا مع مصر المملوكية، وتعهدوا نقل هذه السلع الشرقية الى اوروبة، فقد فرضوا هم الاسعار التي كانوا يرغبون في الحصول عليها.

وكان ان اتجهت اسبانية غربا عبر المحيط الاطلسي املا في الوصول الى الهند، لكنها اهتدت في النهاية الى عالم جديد. أما البرتغال فقد سارت في عملياتها الاكتشافية محاذية لسواحل افريقية الغربية، حتى اتيح لها ان تدور براس الرجاء الصالح وتصل الى المحيط الهندي في حوالي ٩٠٠هـ / ١٥٠٠م، فتدخل عالم التجارة الشرقية من بابه الخلفي.

على ان هذه المحاولات لاكتشاف الطرق الجديدة رافقتها هجمة شرسة على موانىء المغرب العربي بقصد الاستيلاء عليها طمعا في السيطرة على منافذ الطرق الصحراوية التجارية التي تصل الى السودان الغربي. ذلك بان كلا من هذه الطرق الداخلية كانت تنتهي الى ميناء في الشمال الافريقي، بحيث تنقل اليه السلع الداخلية ــ وفي مقدمتها الذهب والرقيق وريش النعام ــ كما كانت تحمل الى الداخل بضائع اوروبة والمشرق التي كانت تنقلها السفن الى هذه الموانىء.

وقد بدأت هذه الهجمة حتى قبل سقوط غرناطة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م). فقد احتلت اسبانية تطوان (٨٠٤هـ/١٤٠٠م) واستولت البرتغال على سبتة (٨١٨هـ/١٤١٥م) والقصر الصغير (٨٦٢هـ/١٤٥٢م) واصيلة وطنجة (٨٧٦هـ/١٤٧١م).

وبعد سقوط غرناطة وجهت اسبانية همها نحو موانىء البحر المتوسط فاحتلت مليلة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) والمرسى الكبير (٩١١هـ/١٥٠٥م) وحجر باديس (٩١٤هـ/١٥٠٨م) ووهران وبجاية (٩١٥هـ/١٥٠٩م) والجزائر (٩١٦هـ/١٥١٠م) ودمرت طرابلس (٩١٦هـ/١٥١٠م) واحتلتها بعد وقت قصير، واستولت على تونس (٩٤١هـ/١٥٣٥م). اما الاتجاه البرتغالي فكان نحو الموانىء الاطلسية للمغرب. فاستولى البرتغاليون على اغادير وموغادور واسفي (٩٠٣ ــ ٩١٤ هـ / ١٤٩٦ ــ ١٥٠٨م) وعلى ازمور (٩٢٠هـ/١٥١٣م).

كانت الدولة العثمانية قد بلغت، في العقود الاخيرة من القرن التاسع / الخامس عشر وفي القرن التالي، الغاية في قوتها واتساع نفوذها. واستطاعت ان يكون لها اسطول يقارع الاسبان في البحر المتوسط. وقد ازداد شعور السلاطين العثمانيين بالقوة بعد ان استولى السلطان سليم الاول (٩١٨ ــ ٩٢٦هـ/١٥١٢ ــ ١٥٢٠م) على بلاد الشام ومصر وقضى على دولة المماليك (٩٢٣هـ/١٥١٧م) واصبح يسيطر على الحجاز وبرقة. ثم تسنم العرش السلطاني بعده سليمان القانوني (حكم ٩٢٦ ــ ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ ــ ١٥٦٦م) وهو من اقدر سلاطين آل عثمان. في هذه الفترة استعاد العثمانيون الجزائر (٩٢٢هـ/١٥١٦م) والبنيون (٩٣٥هـ/١٥٢٩م)

وطرابلس (٩٥٧هـ/١٥٥١م) وتونس (٩٨٢هـ/١٥٧٤م). وهكذا قبل انتهاء القرن العاشر / السادس عشر كانت طرابلس وتونس والجزائر قد اصبحت تابعة للدولة العثمانية.

اما اخراج البرتغاليين من المغرب بالذات فقد تم على ايدي الدولة السعدية (٩١٧ — ١٠٦٩هـ/ ١٥١١ — ١٦٥٩م)، وكان ميناء اغادير اول بلد استرجع (٩٥٦هـ/ ١٥٤١م) ولم يبق في ايدي البرتغال سوى الجديدة (التي استرجعت في عهد الدولة العلوية (١٠٦٩هـ/١٦٥٩م) وكان ذلك سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

ترتب على الوضع الذي نشأ في القرن العاشر/السادس عشر ان قامت في المغرب العربي منطقتان مختلفتان في نظمهما. ففي طرابلس وتونس والجزائر قام حكم عثماني، وقد عرفت هذه الاقطار باسم الايالات وقد ظلت تابعة للدولة العثمانية، على اختلاف في درجة التبعية حتى عاد الاوروبيون فاستولوا على الجزائر (١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) وتونس (١٢٩٩هـ/١٨٨١م) وليبيا (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

اما المغرب الاقصى فقد حافظ على استقلاله، ضد الاتراك اولا، رغم المحاولات المتكررة من الجزائر، ثم ضد الهجمات الاوروبية، في عهد الدولة العلوية التي تولت مقاليد الأمور سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م. الا ان المغرب نفسه لم ينج في النهاية من احتلال فرنسة (١٣٣٠هـ/١٩١٢م).

والايالات العثمانية كانت الادارة فيها تختلف في الواحدة عنها في الاخرى. فاذا اخذنا الجزائر مثلا وجدنا ان حاكمها، وقد عرف بلقب الداي، كان يتولى منصبه (بفرمان) من السلطان، لكنه كان في الواقع لم يكن له نفوذ او سلطان بعد ٩٩٥هـ/١٥٨٧م. اذ ان الاشراف المباشر كان في يد الانكشارية او في يد رؤساء الطوائف مناوبة او مغالبة. والانكشارية كانوا يمثلون الجند التركي الذي كانت الدولة العثمانية تبعث به الى الايالات. اما رؤساء الطوائف منهم قادة منظمات القرصان والاسطول والميناء. وهؤلاء كانوا منوعي الاصول، وكان الاتراك الاصليون قلة بينهم، لكنهم كانوا دعامة الحياة المالية. فالجزائر لم تلق في العهد العثماني اية عناية بالزراعة او التجارة مع الداخل. بل كان البحر، بتجاراته وغاراته، المورد الاول للحكم. ومما لا يجب ان يغيب عن البال هو ان الصراع على السلطة والنفوذ كان مستمرا في حياة الجزائر، الامر الذي كان كثيرا ما يوقف دولاب العمل، على ما كان عليه من بطء على كل حال.

وقد مرت تونس باحوال مماثلة. فالانكشارية، الذين بلغ عددهم نحو الالفين في بعض الاحيان، كانوا في خصومة مع ريس البحر وصاحب المال (الخازندار). ومع انهم توصلوا الى اقامة نظام اسمه الديوان (كان اعضاؤه رؤساء الانكشارية وريّس البحر وصاحب المال وبعض المتقدمين من الاتراك في وظائف الدولة) فان ذلك لم يمنع التصادم بين هؤلاء وحتى بين رؤساء الانكشارية انفسهم. واخيرا استولى على السلطة مغامر اسمه حسين بن علي (١١١٧هـ/ ١٧٠٥م) وانشأ الدولة الحسينية التي ظل باياتها يتعاقبون على عرش تونس حتى سنة ١٩٥٧. ومع ان هذا ادى الى استقرار نسبي في الامور، فان الخصومات العائلية من جهة والحروب مع الجزائر من جهة ثانية استنفد الكثير من النشاط والثروة.

والمت بالايالة الطرابلسية او باشوية طرابلس (وهو الاسم الاداري والدبلوماسي لليبيا) احوال لم تختلف كثيرا عما مر بالايالتين الاخريين. كان الحاكم، ويلقب «الباشا»، تركيا يولّى من استانبول. وحتى لما انشأ احمد القرمنلي (القرمانلي) اسرة حاكمة (١١٢٤هـ/ ١٧١١م) فان الخلافات بين افراد الاسرة لم تنقطع كما لم تنقطع الثورات الداخلية بسبب عسف الحكام. وقد دامت هذه الاسرة الى سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م لما استعادت الدولة العثمانية سيطرتها على الايالة.

وما يقال عن نفوذ القرصان في الايالة الواحدة ينطبق على الايالتين الاخريين.

اشرنا من قبل الى ان المغرب (الاقصى) ظل مستقلا، رغم محاولات الاتراك المتواصلة للاستيلاء علي البلاد، بل انه استرجع بعض الموانىء التي كان الاجانب قد استولوا عليها. وقد حكم المغرب منذ اوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي الاسرة السعدية والاسرة العلوية. ومؤسس الدولة السعدية هو القائم بامر الله (٩١٧هـ/ ١٥١١م). وحكم بعده ابناه احمد الاعرج ومحمد الشيخ (٩٢٣—٩٦٤هـ/١٥١٧ — ١٥٥٧م) الذي استعيدت في عهده اغادير وازمور من البرتغاليين. وتولى ثلاثة ملوك من السعديين هم الغالب بالله والمتوكل وابو مروان عبدالملك (٩٦٤ — ٩٨٦هـ/١٥٥٧ — ١٥٧٨م). وكان لهؤلاء اهتمام بالتجارة الخارجية وخاصة مع انكلترا.

واعتزم ملك البرتغال سبستيان (حكم ١٥٥٧—١٥٧٨م)، وكان معاصرا للملوك المغربيين الثلاثة المذكورين، على العودة الى المغرب، فتحالف مع احد الخارجين على ابي مروان. وجاء المغرب (٩٨٦هـ/١٥٧٨م) ومعه الخارج وكان جيشه مؤلفاً من عناصر برتغالية لكن كان يحتوي على اعداد كبيرة من مرتزقة الالمان والاسبان والطليان. والتقى المغاربة بالجيش البرتغالي في وادي المخازن، وانتصر الاولون في تلك المعركة، التي سميت باسم الوادي، (٩٨٦هـ/١٥٧٨م). وقد قتل الملوك الثلاثة الذين اشتركوا في المعركة، وهم ابو مروان وسبستيان والثائر (ابن عبدالله) ومن ثم فان هذه المعركة يسميها المؤرخون الاوروبيون معركة الملوك الثلاثة. وتولى حكم المغرب الملك المنصور احمد (الذهبي) الذي حكم من (٩٨٦ — ١٠١٢هـ/١٥٧٨ — ١٦٠٣م) وقد حصن المنصور اطراف البلاد وقام باعمال عمرانية وادارية كبيرة. وارسل حملة الى السودان الغربي (٩٩٩هـ/١٥٩٠م) بقيادة جودر فوصلت غوا وعسكرت حول تنبكتو، وتبعتها امدادات في السنة التالية بقيادة محمود، فاستولت على المنطقة باكملها وقضت على دولة سونغي. وقد بلغ عدد الجنود الذين رافقوا الحملة ٢٣٠٠٠ وكانوا ينقلون العدة والعتاد، بما في ذلك المدافع، عبر الصحراء الكبرى على الابل. وقد قضت الحملة ١٣٥ يوما في الطريق من مراكش الى غوا عند منعطف النيجر.

ويعتبر المولى اسماعيل (١٠٨٢ — ١١٣٩هـ/ ١٦٧٢ — ١٧٢٧م) اكبر ملوك العلويين في الدور الاول من حياة الاسرة. فقد سار حكمه على جميع انحاء المملكة، وعقد

معاهدة مع الاتراك (في الجزائر) واستولى على مناطق ساحلية في السودان الغربي واستعاد المعمورة (المهدية) والعرايش واصيلا وطنجة من الاجانب بين (١٠٩٢ و ١١٠٠هـ/ ١٦٨١ و ١٦٨٩م) وكان جيش اسماعيل ضخما يتكون من الوداية (وهم مجموعة من القبائل العربية التي ايدته) والعبيد الافارقة الذين جمعهم من بيوت سابقيه واتباعهم للغـرض بالذات (وقـد قدر عددهم بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠). وكان في الجيش نحو ثلاثة آلاف من الاوروبيين واصلهم مرتزقة او اسرى حرب. وهؤلاء كانوا يستعملون في الامور الفنية، مثل البناء (في عاصمته الجديدة مكناس او مكناسة الزيتون) وصنع السلاح وفي تدريب الجنود.

ويعزى الى اسماعيل انه جدد وبنى من الحصون ٧٦ حصنا. وبنى لنفسه عاصمة جديدة هي مكناس.

وبعد وفاة اسماعيل مرت بالبلاد فترة اضطراب دامت ثلاثين سنة، ثم تلا ذلك فترة استقرار (١١٧١ـــ١٢٣٨هـ/ ١٧٥٧ ـــ ١٨٢٢م) تميز فيها ملكان هما محمد بن عبدالله (١١٧١ـــ١٢٠٤هـ/١٧٥٧ـــ ١٧٩٠م) والمولى سليمان (١٢٠٧ـــ ١٢٣٨هـ/ ١٧٩٣ـــ١٨٢٢م).

رأينا ان نضع هذه الخلاصة التاريخية امام القارىء ليتمكن من متابعة ما سنقوله عن النشاط الاقتصادي في المغرب خلال الفترة المذكورة. واول ما يجب ان نوجه اليه التفاتنا هو البحر، والدور الذي كان يقوم به بالنسبة للاقتصاد المغربي. فالبحر كان يقدم لاقطار المغرب العربي ـــ المملكة المغربية والايالات الثلاث ـــ المورد المالي الرئيسي. ذلك بان القرصنة، التي كانت عملا مقبولا في جهتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية والتي لم تعتبر لصوصية، قط، هي التي كانت تزود الحكام بحاجتهم من الاموال للنفقات العامة والخاصة، او بالقسم الاكبر منها على كل حال. وكانت القرصنة تتم بموافقة الحكام. وكانت السفن الاوروبية تقوم، من ناحيتها، باعمال القرصنة ايضا.

كانت السفن المغربية تخرج من موانىء سلا (المحيط الاطلسي) ومن الجزائر وتونس وطرابلس، وحتى من الموانىء الاصغر شأنا. فتستولي على السفن الاوروبية التجارية (بالمقابل لما كانت تقوم به السفن الاوروبية) وتقودها الى موانئها. وكانت بعض السفن، مثل سفن طرابلس، تغير حتى على الموانىء الاوروبية بالذات. (وكانت موانىء جنوب فرنسة واسبانية وايطالية وصقلية خاصة تتعرض لهذه الغزوات) وكانت سفن المغرب العربي تحمل ما تقع عليه في جميع الحالات من المتاجر، ومن تأسره من الرجال (وغيرهم)، الى بلادها. ومن الطبيعي ان يعتبر كل هذا حقا للقرصان ـــ فالمتاجر تباع في الاسواق، والناس يفصل الحكام بامرهم. فهم اسرى حرب ويعتبرون رقيقا.

اما ما كان يقع في ايدي القرصان الافريقي من التاجر والسلع فاهمه الذهب (الذي اخذ يتدفق على اوروبة بعد اكتشاف اسبانية لمناطق مختلفة من اواسط اميركا وجنوبها، واستلابها ما كان فيها من ذهب وفضة). ويلي ذلك الاقمشة والزجاج والمصنوعات المعدنية والسلاح، سواء في ذلك ما كان يحمله البحارة انفسهم او ما كانت تنقله السفن للاتجار به. وهذه السلع كانت تباع في اسواق الموانىء الكبرى، وكثيرا ما كانت تنقلها القوافل عبر الصحراء الى السودان الغربي ـــ أي حوضي النيجر والسنغال.

واما الاسرى فكان ما يصيبهم يتوقف على مدى النشاط الذي كانت تقوم به المؤسسات الاوروبية المتعددة، دينية او سياسية، من جهد لافتداء الاسرى. وكان الافتداء هذا يزود الدولة (او القرصان) بمبالغ كبيرة. وكان عدد الاسرى كبيرا. فقد بلغ عددهم في بعض السنوات خلال القرن الحادي عشر/السابع عشر وبعض القرن الذي يليه، نحو ثلاثين الفا في السنة الواحدة. وقد نقل غرامي ان القرصان الجزائري، الذي وصل القنال الانكليزي في غزواته، اسر من السفن والمدن ١٢٢٣٩ رجلا (هذا عمل قرصان مدينة الجزائر وحده) وذلك بين سنتي ١٠١٦ و ١٠٢٦هـ/ ١٦٠٧ و ١٦١٧م. اما السفن التي استولى عليها القرصان الجزائري بالذات فبلغ عددها، في الفترة ذاتها، ٢٥١ سفينة. مثل هذه الارقام تعطينا فكرة عن المبالغ التي كانت تتوفر للدولة من الاسرى.

وكثيرا ما كانت حكومات المغرب العربي تحتفظ بعدد من هؤلاء الاسرى، الذين اعتبروا رقيقا في الواقع (الا من اسلم منهم)، لتستخدمهم في اعمال البناء وفي الصناعات العسكرية، وحتى بحارة في السفن التابعة للدولة. وقد عمل بعضهم مدربين للجيوش في المغرب.

وقد ظهرت اثار هذه الثروة في مدينتي الجزائر وتونس في الفترة التي نتحدث عنها. فبنيت الجوامع الجميلة (مثل جامع القصبة في تونس) والقصور الفخمة، مثل قصور دايات الجزائر. وحتى بيوت سكن الموسرين بدت عليها الاناقة والضخامة والزخرف. اذ ان هؤلاء كان اكثرهم من التجار الذين كانوا يفيدون من شراء البضائع التي تجلبها سفن القرصان وبيعها في اسواق البلاد، او على الغالب، لتجار الافارقة من الجنوب ـــ اي الواقعة بلادهم جنوبي الصحراء الكبرى. فيبتاع هؤلاء الاقمشة والحلي والثياب والزجاج لقاء ما يحملونه من السودان الغربي من الذهب والرقيق والعاج والريش. وهذه السلع كان تجار المغرب يبيعونها الى التجار الاوروبيين.

وجدير بالذكر ان عشرات الالوف من العرب المسلمين ومن اليهود اجلوا عن اسبانية في القرن العاشر/السادس عشر ومطلع القرن التالي. والغالب على هؤلاء انهم كانوا اصحاب مهارات صناعية وهندسية وزراعية. وقد افادت اقطار المغرب العربي من اولئك الذين استقروا في البلاد.

على ان القرصنة كان لا بد لها ان تقف عند حد. فقد عملت الدول الاوروبية على تحسين اساطيلها وتنظيم العمل فيما بينها، للدفاع عن نفسها. فقل وارد القرصان من السفن، ونقصت، تبعا لذلك، موارد الدول. فانتقلت اقطار المغرب العربي الى الاهتمام بتقوية التجارة القائمة مع الدول الاوروبية. وكانت منتوجات البلد الواحد هي التي تعين نوع التجارة ومداها. فالمملكة المغربية كانت لديها مصانع للسكر، لعلها تعود الى قبل الدولة السعدية انشاء، ولكنها وسعت في عهد هذه الدولة وايام الدولة العلوية، وخاصة ان زراعة قصب السكر انتشرت في المنطقة الساحلية في الجنوب. وكانت اقطار المغرب غنية بالجلود، وخاصة المملكة المغربية. واذ كانت انكلترا بحاجة

كبيرة الى هاتين المادتين. ولذلك فان المعاهدة التجارية بين المملكة المغربية وانكلترا المعقودة سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م، تجددت في القرن التالي. وكانت شركة افريقية البريطانية للاتجار مع اقطار المغرب العربي قد انشئت سنة ٩٩١هـ/١٥٨٥م، وكانت تقوم باعمال تجارية كبيرة. ومع ان هذه الشركة صفيت بعد انشائها بنحو خمس عشرة سنة، فان الاتصالات التي بدأت مع قيامها استمرت بالتحسن، وزاد نشاطها بعد توقف القرصان عن العمل.

وانشأت فرنسة، في العقود الاخيرة من القرن الحادي عشر/ السابع عشر، الشركة (الفرنسية) الافريقية، التي كانت تركز نشاطها على اسواق الجزائر وتونس. وفي سنة ١٠٢٤هـ/١٦٢٨م منحت حكومة الجزائر فرنسيا اصله من مرسيليا اسمه بنسون نابلون امتيازا للاتجار بالمرجان المستخرج من الشواطىء الجزائرية (الا ان هذا التاجر كان يقوم ايضا بتجارة غير مشروعة في الحبوب واهمها القمح).

وكان في مدينة تونس عدد كبير من التجار الاجانب، بحيث انه كان لهم حي خاص بهم يقع على مقربة من الميناء. وكان بينهم موظفون تعينهم حكوماتهم للاشراف على التبادل التجاري مع تونس. وفي سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٦٦م منحت حكومة تونس شركة فرنسية امتيازا للاتجار بالمرجان والحبوب (وقد كان الاتجار بالحبوب ممنوعا في تونس من قبل، شأنها في ذلك شأن الجزائر).

وقد استقر في طرابلس عدد من التجار الفرنسيين لا يستهان به. وكان كبيرهم يتولى الاشراف على شؤونهم، لكنه لم يكن يعين من قبل الحكومة الفرنسية.

واستمر تطوير صناعة السكر في المغرب حتى القرن الثالث عشر/التاسع عشر. وكانت الحبوب المادة الرئيسية الثانية للتصدير بعد السكر. وكانت الصادرات من هاتين المادتين كافية لان يدفع المغرب ثمن ما كان يستورده من اوروبة من الرخام والاقمشة والمصنوعات الزجاجية والمعدنية والاسلحة وغيرها.

وافادت تونس من مهاجرة الاندلس الذين استقروا في وادي مجردة والساحل التونسي، اذ انعشوا الزراعة ونوعوا الحاصلات الزراعية. والذين اقاموا في تونس الحاضرة وفي بعض المدن الاخرى عنوا بالصناعة، فصارت تونس تصدر خيوط الحرير والاقمشة الصوفية والزرابي (البسط الصوفية) والزليج او الزلاج (القيشاني) والشاشية (الطرابيش) الى بعض الاقطار الاوروبية والى البلاد الشرقية، مثل مصر وبلاد الشام.

وبسبب حملة المنصور الذهبي الى السودان الغربي نشطت تجارة الذهب والعاج والرقيق آتية من هناك، كما ارسل المغرب الى تلك الديار الملح والسكر والمصنوعات المحلية، ومنها الاقمشة، والسلع الاوروبية ومنها الزجاج. وكان الكثير من الرقيق السوداني ينقل الى تركية والمشرق.

في القرن الثاني عشر/الثامن عشر سيطرت المملكة المغربية على تجارتها الخارجية. فكانت قد استعادت المعمورة (١٠٩٢هـ/١٦٨١م) وطنجة (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) والعرائش (١١٠١هـ/ ١٦٨٩م) واصيلا (١١٠٣هـ/١٦٩١م). وقد عقدت معاهدة تجارية مع فرنسة (١١٨١هـ/١٧٦٧م) واخرى مع اسبانية (١١٨٩هـ/١٧٧٥م) وجددت المعاهدة القديمة مع بريطانية. وظل السكر والقمح اهم الصادرات والاقمشة والمصنوعات المعدنية والسلاح اكبر الواردات.

لما كانت الدول الاوروبية متفرقة الكلمة، وكانت المنافسة على اسواق المغرب العربي بينها شديدة، كانت تضطر ان تدفع جعلا سنويا لكل من حكومات تلك المنطقة كي يسمح لتجارها بدخول الموانىء والمتاجرة فيها. وكان تعيين المشرف التجاري الجديد (القنصل فيما بعد) او حتى تبديله، يقتضي من الدولة ان تقدم لحاكم الايالة هدية كبيرة.

لكن اضطراب الامور في الجزائر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر/الثامن عشر اضعف موقفها امام الدولة الاوروبية، فتلكأت هذه عن دفع الجعالات او الاتاوات. فنقصت موارد الدولة، وتأخرت البلاد اقتصاديا بسبب الحروب الداخلية. وقد هبط عدد سكان القطر الجزائري في ذلك القرن الى نحو ثلاثة ملايين نسمة، كان يعيش تسعة اعشارهم في الريف، وهي المناطق التي لم تعرها الحكومة اية عناية. فاضطر السكان الى الاعتماد على الثروة الحيوانية، واخصها الماعز والاغنام. واحتكرت الدولة التجارة الخارجية لتحصل على حاجتها من المال. فالصادرات من المواشي والجلود والحبوب والزيوت، جمعا وبيعا، والواردات وفيها الاقمشة والمواد الغذائية والسكر والبن، استيرادا وبيعا، كانت حكرا على ارباب الدولة. واما ما بقي خارج نطاق الاحتكار فقد افاد منه التجار الاجانب — مثل المرجان والفلين (على اساس امتيازات تمنح لتجار اجانب).

وكانت توجد في الجزائر (المدينة) صناعات بسيطة لبعض انواع من المواد الغذائية والادوات المنزلية وبعض اصناف القماش. لكن منتوجها لم يكن يكفي السوق المحلية.

وفي القرن الثاني عشر/الثامن عشر كان عدد سكان مدينة الجزائر نحو ٣٠٠٠٠ نسمة وسكان قسنطينية كانوا نحو ١٢٠٠٠ فيما كان عدد سكان وهران ٩٠٠٠ نسمة.

اما في القطر التونسي فقد استقرت القبائل في السهوب، وعنيت بتربية المواشي. وارتفع انتاج الحبوب والزيتون. والحبوب والزيتون كانتا المادتين الاكبر قيمة في الصادرات الى اوروبة. وكانت الاقمشة والزرابي والمصنوعات الجلدية والطرابيش تصدر الى الجزائر والمشرق. وكانت التجارة الخارجية حكرا على الحكومة. وهذا التقدم النسبي في الاحوال الاقتصادية كان سببه الاستقرار النسبي ايضا — في الاوضاع السياسية.

واما في ليبيا فان الخلافات والحروب الاهلية بين افراد الاسرة القرمنلية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر/الثامن عشر اضعف الحكومة، فعجزت واردات الدولة عن القيام بمصاريفها، اذ امتنعت الدول الاجنبية عن دفع الجعالات للباشا. فهبط المبلغ من ١٠٠٠٠٠ (مئة الف) قرش الى اقل من النصف. فلزم يوسف باشا القرمنلي (١٢١٠ — ١٢٤٨هـ/١٧٩٥ — ١٨٣٢م) جمارك طرابلس، فظلم الملتزمون التجار، فتأذت التجارة الخارجية. وشدد الباشا الخناق على الناس في تحصيل الضرائب. فجلا عدد كبير من الفلاحين الى تونس وغيرها من اقطار المغرب، والى المشرق، ومصر بشكل خاص □

قصة قصيرة

المئذنة الحزينة

بقلم : الأستاذ محمد صالح ابراهيم / الخرطوم



أذّن الحاج بلال لصلاة الصبح ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي المختار ، وراح يهبط درج المئذنة وهو يتحسس موضع قدميه في حذر وخوف ويقول سترك يا رب ، اللهم لا حول ولا قوة إلا بك يا بصير ..

لم تكن المئذنة على حالها الأولى يوم أنشئت والمسجد قبل خمسين عاما . لقد نالها التصدع وسقط عنها افريزها مع طول الزمن ، كما سقطت عن المؤذن أسنانه مع طول العمر . ولقد لازم الحاج بلال هذه المئذنة منذ صباه حتى غدت في مشاعره وإحساسه قطعة من روحه وبدنه ، يؤذن فيها للصلوات الخمس دون انقطاع ، ولا عجب فهو يعتبر نفسه الوريث الشرعي لهذا الواجب الديني المقدس . فقد كان أبوه مؤذن القرية قبل ان تتحول الى مدينة . كما كان جده الرائد في الارشاد الديني وأول من نادى لاقامة الصلاة في بطن الوادي .

وبالرغم من أن التوسع والعمران قد شملا كل أرجاء المدينة فقد ظل المسجد بصورته القديمة منذ شيده صاحبه عام ١٣٥٠ هـ ، ولم يفكر في إصلاحه إلا في السنوات الأخيرة حيث أخذ يواليه بترميمات طفيفة سطحية هنا وهناك على جوانبه أشبه بلقيمات من فضلات الطعام يتصدق بها البخلاء على المساكين .. حتى أصبح مع الأيام كالشيخ العجوز الفاني المتهالك لا يقوّمه غذاء ولا يصلحه دواء .

هذا المسجد هو كل شيء بالنسبة للحاج بلال . فقد عاش في كنفه لا زوج تخدمه ولا ولد يدعو له . واتخذ له مسكنا في كوخ شيده في فناء المسجد الرحب . وظل يعيش من جُعْل ضئيل يتقاضاه من عدلان صاحب المسجد ، قانعا بالكفاف من الرزق ، شاعرا بالرضا والسعادة في حياته ، وهو يرى في جلبابه الرخيص وثوبه الخلق وطعامه القفار نعمة الله الكبرى . اشتهر بين الناس بالتقوى والصلاح وكثرة الدعاء لهم بالخير والفلاح . أنيسه في وحدته كتاب الله يتلوه بين كل صلاة وصلاة . وبالرغم من كبر سنه وضآلة بنيته ظل صوته قويا جهيرا في التلاوة وفي الأذان .

ولم يواجه الحاج بلال في حياته خطرا يتهدده إلا بعد ان أخذت المئذنة تلفظ أنفاسها وينضو عنها طوبها المتداعي . فهو مهدد بالسقوط من أعلاها . وكثيرا ما طافت بمخيلته الصورة المروعة التي قد يتردى بها وتدق عنقه وترض عظامه فيحوقل ويستعيذ بالله ، وتعلو ضربات قلبه ويرفع كفيه بالتضرع الى الله قائلا : اللهم اغفر لعدلان . اللهم اهد عدلان . فاذا أحس بالكراهية لهذا الرجل قاوم إحساسه بالاستغفار والدعاء الى الله أن يعصمه من الزلل .

لقد تحدث الى عدلان بشأن هذه المئذنة ولكن الرجل لم يكترث لحديثه . فقد كان بخيلا لا تبل إحدى يديه الأخرى من الشح . فلم يملك الحاج بلال إلا ان يهز رأسه أسفا وحزنا لهذا الذي يغل يده عن عمل الخير ويمسك ماله عن إصلاح بيت الله ، ثم يعرضه هو للموت بصورة لم يمت بها مؤذن من قبل ..

وفيما هو مسترسل في تأملاته سابح بأفكاره في جو قاتم تضطرب فيه الأحاسيس والمشاعر ، اذا به يذكر العرض السخي الذي تلقاه من صاحب الحديقة المجاورة للمسجد . فاغتبط بعد وجوم واهتزت جوانحه بعد تزمت . يا له من عرض تتألق فيه الأضواء ، وتتداح فيه فجاج للخير العميم ، ويطل به على دنيا جديدة مشرقة الديباجة باردة الظل ، ينتقل اليها من رأس المئذنة المتداعية المكشوفة الى الظل الممدود والماء المسكوب والخضرة الندية اليانعة .. وفوق ذلك فإن في قبوله لهذا العرض السلامة من الخطر والتحرر من الخوف والضمان للرزق الحسن . هل يقبل العرض وهو حلال طيب ؟ استغفر الله . لقد أحس بشيء يجيش في نفسه ، وصوت يهمس في صدره ويستنكر ما بدا لخياله ، ويحرك لسانه بالاستغفار كمن أحس بأنه مقبل على ارتكاب إثم عظيم . أيهجر عمله الذي ورثه عن أبيه وجده ؟ أيصبح مناديا لقطع الحشائش وعزق الأرض بعد ان كان ينادي للصلاة ؟! معاذ الله . لقد قرر في نفسه ان يرفض العرض على الفور حتى لا يترك للشيطان فرصة العودة ليزين له هذا البهرج الذي ينطوي على السوء والبوار ، ولصاحب الحديقة أن يختار من غد رجلا غيره ليكون رقيبا على حديقته . وبعد أن استقر رأيه على ذلك قام يتوضأ للأذان .

ومضت الأيام والحاج بلال يؤدي عمله في إيمان وإخلاص وهو العمل الذي يعيش منه وترتاح اليه نفسه وينشرح صدره ، صابرا على بخل عدلان وعلى خطر المئذنة وعلى خوفه على نفسه منها . وما فتىء يدعو للبخيل بالهداية والرشاد . ولكن المئذنة لم تعد تحتمل عوادي الدهر ، فتخلت عن أطرافها وبدت متناً بلا حاشية ، كالانسان الهالك تقطعت أوصاله وتناثرت أطرافه ونضب معين قوته ولم يبق إلا قلبه يعمر بالايمان ولسانه يلهج بذكر الرحمن . ووجد الحاج بلال في عمله مشقة وجهدا لا قِبَل له بهما ، وازداد خوفه واضطرابه ، وامتلأ قلبه رعبا عندما زلت قدمه وكاد يهوي من فوق المئذنة لولا لطف الله . وما فتىء يتحدث الى عدلان ويلح عليه في إصلاح المئذنة ، فان الله سبحانه يرضى عن عباده المصلحين ويجزيهم أجر ما عملوا من خير . ولكن صاحب المسجد لم يبال ولم يكترث بل ضاق صدره من كثرة السؤال وأراد أن يضع حدا لهذا الالحاح البغيض الى نفسه فقال للمؤذن قولا كان بمثابة الخنجر في صدر المؤمن ..

الله أكبر . كانت الصدمة قاسية على الحاج بلال لم يحتملها قلبه فخارت لها قواه ، وتناثر الدمع من عينيه ، وغامت الدنيا في وجهه . أترى جنى على أحد فارتد السهم الى نحره ؟ وتطلع

بنظره الضعيف الى المئذنة الحزينة . كم هي حبيبة الى نفسه ، وما أصعب فراق الحبيب . لن يراها بعد اليوم . لقد أقاله صاحب المسجد ..

وتلفت حواليه كمن يبحث عن شيء ضاع منه . ثم ارتد الى نفسه الهائمة . لقد قطع عيشه فالله اكبر والحمد لله . وذكر صاحب الحديقة والعرض السخي فتراءى له كالعصفور أفلت من يده . هز رأسه وزم شفتيه من حزن وحسرة . انه سيبارح كوخه الذي يرقد فيه ، ولا يعرف له مكانا يأوي إليه ولا عملا يقتات منه . فما أقسى الايام وما أظلم الانسان . انه سيفارق المسجد الذي قام على خدمته العمر كله . الله أكبر . استرخى وتهافت وأجهش بالبكاء . وقضى ليلته تبلل خديه الدموع وتغمر قلبه الحسرة حتى ابيضت عيناه من الحزن .

وحز في نفسه أن ينادي أحد غيره لصلاة الصبح . وأنكر عليها ما شابها من شعور بالأسى والغيظ ، واستغفر ربه راضيا بقضائه وحكمه ، ومضى يتحسس الجدران حتى دخل المسجد . ولما قضيت الصلاة أقبل الناس عليه يتساءلون . لقد كان غريبا أن يتخلف الحاج بلال عن الأذان . وهالهم أن رأوا مؤذن المسجد ضريراً أو كالضرير . لقد مسه الأذى . فاشتد عطفهم عليه وأنكروا على عدلان ما صنع ، ولم يتركوه حتى لانت قناته وعدل عن قراره فاستبقى الحاج بلال في عمله ، ووعد باصلاح المئذنة من يومه ، فشرع من فوره في جلب الرمل أكواما كبيرة جعلها عند جدار المئذنة . وسر المؤذن الضرير وحمد الله على السراء والضراء ولم ينس ان يدعو للبخيل بسعة الرزق . وقضى يومه قرير العين ، ولكن للأحداث بقية ..

وارتقى المئذنة في الفجر . وبعد أن فرغ من الأذان أخذ يتحسس موضع قدميه في حذر وخوف . وان هو كذلك زلت قدمه فهوى ..

وخرج من بالمسجد على صياح المؤذن الضرير ، وتحلق المشفقون حوله وهو قائم على قدميه يردد النداء في قوة وإيمان : الله اكبر . الله أكبر .

لقد سقط على كومة الرمل فلم يصب بسوء ، وقد ارتد اليه بصره من هلع السقوط . كلا بل من رحمة الله .

﴿ **وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾

صدق الله العظيم □

يحيى الغزال

الشاعر الأندلسي الحكيم



كان حكم الأمير عبدالرحمن الأوسط العصر الذي بدأت فيه الحضارة الاسلامية الأندلسية في التفتح والازدهار ، ولم يكن الأمير عبدالرحمن مستبدا طاغية شديد الحرص على فرض سلطته ، ولا واهن العزم ضعيفا مستسلما ، ولم تصدق فيه تلك الكلمة المأثورة عن المؤرخ السياسي لورد أكتون وهي قوله : « إن السلطة مفسدة والسلطة المطلقة تفسد افسادا مطلقا » ، وكان يعرف متى يركن الى الشدة ، ومتى يصطنع اللين ، ويستعمل الحلم والرفق ، وقد ترك له والده الحكم ملكا ثابت الدعائم ، وخزائن عامرة ، وقد أحسن والده تربيته ، فكان واسع الاطلاع، متعدد جوانب الثقافة ، مصقول الذوق ، محبا للحياة الرافهة والمستوى الرفيع ، راغبا في الاصلاح ، وتحسين أحوال الرعية من الناحية المادية ،والناحية الروحية ، ولذلك سمت حالة الأندلس في عصره ، وانعكست عليها ظلال شخصيته المهذبة المستنيرة ، وهو يمثل الحياة الأندلسية في طور من أطوار شبابها الباكر ، وقد بدأت تكوّن لنفسها طابعا خاصا متميزاً، وكانت حضارتها مثل اكثر الحضارات العالمية مزيجا من حضارات الشرق والغرب ، ولكنها أخرجت من هذا المزيج حضارة موحدة متجانسة لها أصالتها وخصائصها المعينة ، ولم يخل عصره بطبيعة الحال من قلاقل الفتن ، وهزاهز الاضطرابات مثل سائر عهود الأمراء السابقين ، ولكن الحضارة الأندلسية في عهده ظلت عزيزة الجانب لامعة متألقة .

وقد ساعد على ذلك نبوغ شخصيات بارزة كانت عاملا

والدبلوماسي البارع

بقلم : الأستاذ علي أدهم / القاهرة

هاما في توطيد الحضارة الأندلسية ، وامدادها بعناصر قوته ، وكان لوفود عدد من المشارقة ذوي العلم والدراية والخبرة الواسعة على الأندلس أثر بارز في ذلك ، وقد كثروا في أيامه لما ذاع عنه من الأخذ بيد الأدباء والعلماء والمفكرين وإفساح المجال لمواهبهم المتنوعة لذلك ارتفعت الأندلس في عهده الى مصاف الدول الكبرى في العالم ، وصارت الدول القريبة والقاصية تخطب وده ، وتحاول توثيق علاقاتها به ، وفي طليعتها الدولة البيزنطية.

وقد بسقت في عصره شخصيات عملت على دفع حركة التقدم ، وكان لاتاحته الفرص الملائمة لها وتقديره لنبوغها ومعرفته وجوه الانتفاع بكفاياتها وتهيئة الجو الملائم لها تأثيره الملحوظ ، والواقع ان المغرب كان ملاذا ومتسعا لمن ضاقت بلاد المشرق بمواهبهم ووقف الحسد والتنافس الشديد عقبة في طريقهم، وكان الأندلسيون قوما نقدة يحسنون وزن الرجال ، ويعرفون وجوه الانتفاع بمواهبهم وقدراتهم، وكان للاستقرار الذي نعمت به البلاد تأثيره في التمهيد لتفتح المواهب وانطلاق العقول.

واكتفى بالاشارة الى ثلاثة من أصحاب الشخصية البارزة والمكانة العالية الذين ظفروا بالتقدير العالي ووصلوا الى المكانة الشماء في عصره ، وأولهم القاضي يحيى بن يحيى الليثي صاحب اليد الطولى في توطيد مذهب الامام مالك بالأندلس ، وكان عبدالرحمن يحترم رأيه ، ويعرف مكانته ، ويعمل برأيه ومشورته .

وكانت الشخصية الثانية الفريدة في بابها هي شخصية الحسن ابن علي بن نافع الموسيقي المعروف بزرياب ، وهو من الشخصيات الهامة في ذلك العصر وأصله عراقي ، وهو من الموالي ، وكان تلميذا لاسحاق الموصلي كبير الموسيقيين والمغنين في عهد الرشيد ، وقد أثار وجوده وتقريب الخليفة له حسد أستاذه فلم يجد ندحة عن الارتحال الى المغرب ، وقد أحسن الأمير عبدالرحمن استقباله ، وقدر عبقريته ، وأغدق عليه عطاياه ، واختصه برعايته ، وكان الرجل شديد التوفر على تجويد فنه ، فلم يتدخل في الشؤون السياسية ، ولذلك ظل محتفظا بمكانته ، وكان له تأثيره البعيد المدى في الحياة الاجتماعية بالأندلس وتهذيب الذوق والعادات والتقاليد .

والشخصية الثالثة هي شخصية الشاعر الحكيم يحيى بن حكم البكري الذي يلقب بالغزال لجمال طلعته وحسن هيئته ، وهو ينتسب الى بكر بن وائل وقبيلته أحد فروع قبيلة ربيعة التي كان لها شأن في العصر الجاهلي والعهد الاسلامي ، وقد ولد في مدينة جيان سنة ١٥١ هجرية في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل ، ويقول عنه المؤرخ الأندلسي ابن حيان : « كان الغزال حكيم الأندلس وشاعرها وعرافها ، وقد عمر تسعا وتسعين سنة ، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس أولهم عبدالرحمن بن معاوية وآخرهم الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم ، وقال في ذلك :

أدركت بالمصر ملوكا أربعة وخامسا هذا الذي نحن معه

وقد ظهرت بوادر نبوغه وقدرته الناقدة من مستهل نشأته الأدبية ، فقد روي أن قاضي الجزيرة الخضراء عباس ابن ناصح الثقفي كان يفد على قرطبة ويأخذ عنه أدباؤها . ومرت عليهم قصيدته التي يقول فيها :

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم إذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

حتى انتهى الى قوله :

تجاف عن الدنيا فما لمعجّز ولا عاجز إلا الذي خطّ بالقلم

فقال له الغزال وكان في الحلقة وهو إذ ذاك حدث نظّام متأدب ذكي القريحة : « أيها الشيخ ، وما الذي يصنع مفعّل مع فاعل ؟ » .

فقال له ابن ناصح : « كيف تقول ؟ » .

فقال : « كنت أقول فليس لعاجز ولا حازم » .

فقال له ابن ناصح : « والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها » .

وكان الغزال من الشعراء الذين يتخذون الشعر وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وخوالجهم النفسية وخطرات أفكارهم ، ولا يجعلونه سبيلا لمدح الأعيان والرؤساء حسب التقاليد التي جرى عليها كثير من الشعراء في مختلف عهود الحضارة الاسلامية ، وقد نظم قصيدة في مدح الأمير عبدالرحمن بمناسبة دفعته الى ذلك ، وحسب رواية ابن دحية في المطرب ان السبب في نظمها ان أبا المطرف عبدالرحمن ، على ما يبدو ، رأى أن يوليه قبض الأعشار ببلاط مروان واختزانها في الأهراء ، واتفق أن نفق الطعام في ذلك العام ، وارتفع السعر بالقحط ارتفاعا كثيرا ، فوضع الغزال يده في البيع حتى أتى على ما كان في الأهراء عنده ، ثم نزل الغيث بعد ذلك ورخص الطعام ، وان الغزال قد استبدل بما باعه نقودا ، وعلم الأمير بما عمل

الغزال من البيع فأنكره وقال : « انما تعد الأعشار لنفقات الجند والحاجة اليها في الجهد ، فماذا صنع الخبيث ! خذوه بأداء ما باع من أثمانها ، واشتروا به طعاما ، واصرفوه في الاهراء الى وقت الحاجة اليـــــــــه » .

فلما طلب منه ثمن ما باع أبى من ذلك وقال : « إنما أشتري لكم من الطعام عدد ما بعت من الامداد » وكان بين العددين بطبيعة الحال بون كثير ، ولما علم الأمير بامتناعه عن الأداء ، وبما ذهب اليه من شراء مثل ما باع ، أمر بسجنه وحمله اليه في الكبل ، فسيق منها الى قرطبة ، وسجن بها ، فنظم قصيدة في مدح الأمير وتبرير موقفه ، مطلعها :

بعض تصابيك على زينــب لا خير في الصبــوة للأشيب

ويقول فيها مدافعا عن نفســه :

ان ترد المال فاني امــرؤ لم أجمع المــال ولم أكسـب
إذا أخذت الحق مني فـلا تلتمس الربـح ولا ترغـب
قد أحسـن الله الينا معــا إن كان رأس المـال لم يذهب

ولما قرئت القصيدة أعجب بها الأمير ، وأعجب بها الحاضرون ، وقال بعضهم : « لقد أنصفك الغزال في قوله إن رأس المال لم يذهب » ، فضحك الأمير وأمر باطلاقه .

وقد عرف الغزال بقسوته في الهجاء ، وحينما ولى الأمير عبدالرحمن يخامر بن عثمان قضاء الجماعة بقرطبة ، ولم يك أهلا له ، وأساء معاملة الناس ، انبرى له الغزال فأكثر هجوه وذمه ، ووصفه بالبله والجهل ، ويقول ابن حيان المؤرخ عن الغزال في هذا الصدد : « منتهك الأعراض ومخزي الرجال » ، ويقول بعد روايته مقطوعة له في هجاء القاضي المذكور : « وكان الغزال بذيئا منتهكا للأعراض » .

والمؤرخ ابن حيان معروف بتحريه الدقة والتزام الصدق في إصدار الأحكام على الرجال من معاصرين وغير معاصرين .

وكان الغزال يمقت الخصى نصر صاحب السلطة الواسعة في عهد الأمير عبدالرحمن، فلما مات نصر هجاه الغزال، ولم تكن علاقة الغزال بزرياب حسنة ، وقد عرضه ذلك لغضب الأمير عبدالرحمن ، وذلك أن زريابا أصبح أثيرا في نفس الأمير بوجه خاص بعد موت الخصى نصر ، وأنزله الأمير في منزلة نصر ، فنظم الغزال في ذلك قصيدة يشير فيها الى خاتمة نصر ويقول عن زرياب فعله بعده كفعل امرىء ليس عليه بعد الممات حساب .

ويقول المقري في النفح : « وكان الغزال أقذع في هجاء علي ابن نافع المعروف بزرياب فذكر ذلك لعبدالرحمن ، فأمر بنفيه ، فدخل العراق ، وذلك بعد موت أبي نواس » .

وعاد بعد ذلك الى الأندلس ، وتحسنت العلاقات بينه وبين الأمير عبدالرحمن ، وأعاده الى خدمته من جديد ، وقد عهـد اليه بمهمـة لا ينفع فيها الا امثاله للباقته وسرعة بديهته وسعة خبرته ، وقد حدث في عهد عبدالرحمن نزول النورمانديين الاندلس، وكان أول نزولهم عند الاشبونة في مصب نهر ناجه ثم ذهبوا الى مصب نهر الوادي الكبير ووصلوا الى اشبيلية وكانوا يقبلون في سفن ذات أشرعة سود ويرسون بها على الشواطىء ويقسمون رجالهم قسمين ، قسما يعسكر على الشاطىء وقسما يشن الغارة على المدينة ، وبعد اغارتهم على اشبيلية أغاروا على لقنت وقرطبة ، وقد استطاع عبدالرحمن أن يهزمهم ويجلوهم عن اشبيلية .

وقد نبهت غارات النورمانديين الأمير عبدالرحمن الى ضرورة إنشاء أسطول لحماية شواطئه فأمر باقامة دار الصناعة باشبيلية .

وفي سنة ٢٢٥ هجرية أرسل ملك القسطنطينية تيوفليس هدية الى الأمير عبدالرحمن وأبدى رغبته في عقد معاهدة صداقة بين القسطنطينية وقرطبة ، وضمن رسالته الى الأمير عبدالرحمن شكواه من عدوان الخليفة المأمون وأخيه المعتصم على أملاكه ، وذكّره بما كان من أواصر المودة بين قياصرة القسطنطينية وأوائل بني أمية ، وقد رأى عبدالرحمن أن يرد على هذه السفارة بما تستحق من الاهتمام ، ووقع اختياره على الغزال للقيام بمثل هذه السفارة الهامة ، وكان لنجاح هذه السفارة أحسن الأثر في نفس الأمير عبدالرحمن من ناحية تقديره لمواهب الغزال ، ويروي ابن عذارى المراكشي في البيان المغرب ان الغزال دخل ذات يوم على الأمير عبدالرحمن ، فقال الأمير : « جاء الغزال بحسنه وجماله » فقال له أحد الوزراء الحاضرين : « أجز ما بدأ به الأمير ، فقال الغزال مرتجلا :

قال الأمـير مداعبا بمقالــه جاء الغزال بحسنـه وجمالـه
أين الجمـال من امـرىء أربى على متعدد السبعين من أحوالـه
أين الجمال له ، الجمـال من امـرىء ألقاه ريب الدهر في أغلاله
وأعاده من بعد جدته بلى وأحال رونق وجهه عن حاله

وفي سنة ٢٣١هـ أرسله الأمير عبدالرحمن في سفارة الى نور جابوس ملك النورمانديين في جتلند ، وكان قد أرسل سفارة الى الأمير أثر هزيمة النورمانديين في اشبيلية يطلب فيها مهادنته ، وقد صحب الغزال في هذه الرحلة المدعو يحيى بن حبيب ، فذهبا الى مدينة شلب ، وقد أنشىء لهما مركب حسن كامل الآلة ، ومشى رسول ملك النورمانديين في المركب الذي جاء به مع مركب الغزال ، ولما جاؤوا الطرف الأعظم الداخل في البحر الذي هو حد الأندلس في آخر الغرب هاج عليهم البحر ، وعصفت بهم ريح شديدة وقال الغزال يصف ما حدث له ولصاحبه :

قال لي يحيى وصـــــر نا بين موج كالجبـال
وتولتنـــــا ريــــــاح من دبــور وشـمال
شقت القلعـين وانبتـــــــــت عرا تلك الحبـال
وتمطـى ملـك المــو ت الينا عن حيــال
فرأينـا المـوت رأي العـــــــين حالا بعد حـال
لم يكـن للقــوم فينــا يا رفيقـي رأس مــال

وسلم الغزال وصاحبه من هول العاصفة وأخطارها ، ووصلا الى مستقر الملك ، الذي يصفه ابن دحية في المطرب بقوله : « وهو جزيرة عظيمة في البحر المحيط فيها مياه مطردة وجنان وبينها وبين البر ثلاثة مجار ، وفيها من المجوس ما لا يحصى عددهم » .

وقد أمر لهما الملك بمنزل حسن ، وأخرج اليهم من يتلقاهم ، واحتفل المجوس بقدومهم ، ولما مثلا بين يدي الملك ألقى الغزال كلمة تحية له فسرّها الترجمان ، وأعجب بها الملك ، ودفع اليه الغزال كتاب الأمير ، وفسّر له الكتاب ، فأخذه واستحسنه ، كما أعجب بالهدية المرسلة اليه ، ويروي ابن دحية أن امرأة ملك المجوس حينما سمعت بذكر الغزال وجهت اليه لتراه ، فلما دخل عليها سلم ، ثم شخص فيها طويلا ينظر اليها نظرة المتعجب ، فقالت لترجمانها : « سله عن إدمان نظره لماذا هو ؟ ألفرط استحسان أم ضد ذلك ؟ » فأجاب الغزال قائلا : « اني لم أتوهم أن في العالم منظراً مثل هذا ، وقد رأيت عند ملكنا نساء انتخبن له من جميع الأمم فلم أر فيهن حسنا يشبه هذا » وقد اجتلب بهذا الكلام محبة الملكة وكان اسمها « تـود » وبرغم أن الغزال في ذلك الوقت كان قد تجاوز الخامسة بعد السبعين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مع ذلك مجتمع الأشد ، وقد أعجبت الملكة بحديثه ، وأولعت به وكانت توجه اليه في كل يوم لزيارتها ، ونظم القصيدة التي يقول فيها :

كلفت يا قلبي هوى متعبا ... غالبت فيه الضيغم الأغلبا
اني تعلقت مجوسية ... تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله لي حيث لا ... يلقى اليها ذاهب مذهبا
يا تـود يا رود الشباب التي ... تطلع من أزرارها الكوكبا
إن قلت يوما أن عيني رأت ... مشبهة لم أعد أن أكذبا

ولما ترجمت هذه الأبيات للملكة تـود ضحكت منه ، وأمرته بالخضاب ، ففعل ذلك ، وغدا عليها يوما ثانيا وقد اختضب فمدحت خضابه وحسنته عنده ، وفي ذلك يقول الغزال :

بكرت تحسن لي سواد خضابي ... فكأن ذاك أعادني لشبابي
ما الشيب عندي والخضاب لواصف ... إلا كشمس جللت بضباب
تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا ... فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكري وضح المشيب فانما ... هو زهرة الأفهام والألباب
فلدي ما تهوين من شأن الصبا ... وطلاوة الأخلاق والآداب

ويروي ابن دحية في المطرب أن الغزال بعد رحيله من بلاط ملك النورمانديين صحبه الرسل الى شنت يعقوب بكتاب من الملك الى صاحبها أقام عنده مكرما شهرين ، وانتقل الى قشتالة ، وخرج منها الى طليطلة حتى لحق بالأمير عبدالرحمن بعد انقضاء عشرين شهرا .

ولما تقدمت به السن غلب عليه الزهد والتبرم بالحياة ، ومن شعره في تلك الفترة قوله :

ألست ترى أن الزمان طواني ... وبدّل خلقي كله وبراني
تحيفني عضوا فعضوا فلم يدع ... سوى اسمي صحيحا وحده ولساني
ولو كانت الأسماء يدخلها البلى ... لقد بلي اسمي لامتداد زماني
وما لي لا أبلى لتسعين حجة ... وسبع أتت من بعدها سنتان
اذا عن لي شخص تخيل دونه ... شبيه ضباب أو شبيه دخان
فيا راغباً في العيش إن كنت عاقلا ... فلا وعظ إلا دون لحظ عيان

ومن حكمه قوله :

من ظن أن الدهر ليس يصيبه ... بالحادثات فانه مغرور
فالق الزمان مهونا لخطوبه ... وانجر حيث يجرك المقدور
واذا تقلبت الأمور ولم تدم ... فسواء المحزون والمسرور

ولم يكن الغزال حسن الظن بالطبيعة الانسانية ، ومن أقواله في ذلك :

اذا أخبرت عن رجل بريء ... من الآفات ظاهره صحيح
فسلهم عنه هل هو آدمي ... فان قالوا نعم فالقول ريح
ولكن بعضنا أهل استتار ... وعند الله اجمعنا جريح
ومن انعام خالقنا علينا ... بأن ذنوبنا ليست تفوح
فلو فاحت لأصبحنا هروبا ... فُرادى بالفلا ما نستريح
وضاق بكل منتحل صلاحا ... لنتن ذنوبه البلد الفسيح

وقوله :

لا ومن أعمل المطايا اليه ... كل من يرتجي اليه نصيبا
ما أرى ههنا من الناس إلا ... ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيها بالقط ألقى بعينيه ... الى فارة يريد الوثوبا

ويقول المستشرق الروسي « أغناطيوس كراتشكوفسكي » في الفصل الذي كتبه عن الشعر العربي في الأندلس في دراساته عن تاريخ الأدب العربي « وتنسب للغزال إحدى المحاولات الأولى للقصائد الملحمية ، فعندما عاد من عند النورمنديين اضطر الى البقاء شهرين في سنت ياجو في شمال اسبانيا ، فانتهز هذه الفرصة لنظم أرجوزة عن فتح الأندلس ، ويقول المؤرخ ابن حيان الذي يعرفه جيدا ، ان هذه الأرجوزة جميلة وعظيمة تعرض لأسباب الفتح ووقائع الحرب بين المسلمين وأهل الأندلس ، وتذكر عدد أمراء هذه الناحية وأسماءهم وانها مكتوبة بلغة جميلة ومعتنى بها ، وانها في متداول ايدي الكثيرين ، ولكن هذه الأرجوزة لم تصل الينا مع الأسف » .

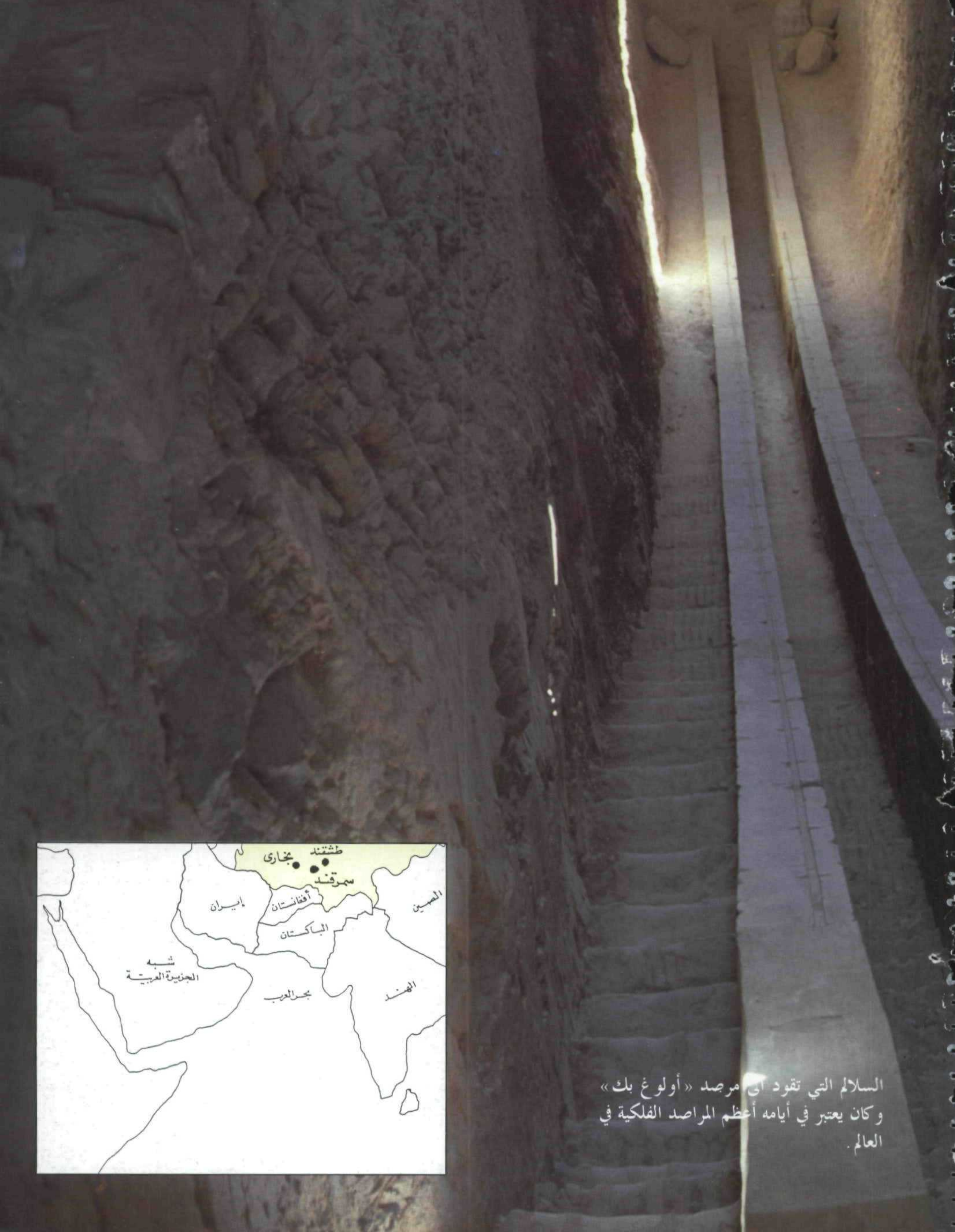
وقد توفي الغزال في سنة ٢٥٠ هـ في التاسعة بعد التسعين من عمره ، وقد تكون القصائد والمقطوعات الباقية لنا من آثاره الأدبية غير كافية لتكوين فكرة شاملة عن فلسفة حياته ، وطبيعة ملكاته ، وشتى اتجاهاته ، والمؤرخون الأقرب منه عهدا ، والأكثر منا اطلاعا على أوجه ومعارض حياته ، يكبرون شأنه ، ويشيدون بمواهبه وقدراته ، فالحميدي في جذوة المقتبس يقول عنه : « رئيس كثير القول ، مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل ، وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده » . وابن دحية يستهل الحديث عنه في المطرب بقوله : « القاعد على كيوان ، شاعر ذلك الأوان ، وقد أثبت ان من قوله ما يشهد بابداعه ، وحسن تصرفه في المعاني واختراعه ، وطول يده في الأدب وامتداد باعه » . واذا أبعدنا الجانب القريب من الأسطورة في مأثور أخباره فاننا يمكن في يسر أن نتبين أنه كان شخصية فذة ، وشاعرا من طراز غير عادي □

سمرقند...

العاصمة الأسطورة التي أصبحت متحف آثار

ابراهيم احمد الشنطي / هيئة التحرير

الحديث عن الآثار الإسلامية في الدول غير الإسلامية حالياً يثير الشجى والحزن. فقد كانت هناك للإسلام دولة فدالت، وكانت لهم حضارة فزالت. ولم يبق لهم في تلك البقاع غير الذكرى يجترونها والغصة يتجرعونها، والتاريخ يعاودون استنساخه للأبناء والأحفاد.. ولعل وعسى.



السلالم التي تقود الى مرصد «أولوغ بك» وكان يعتبر في أيامه أعظم المراصد الفلكية في العالم.

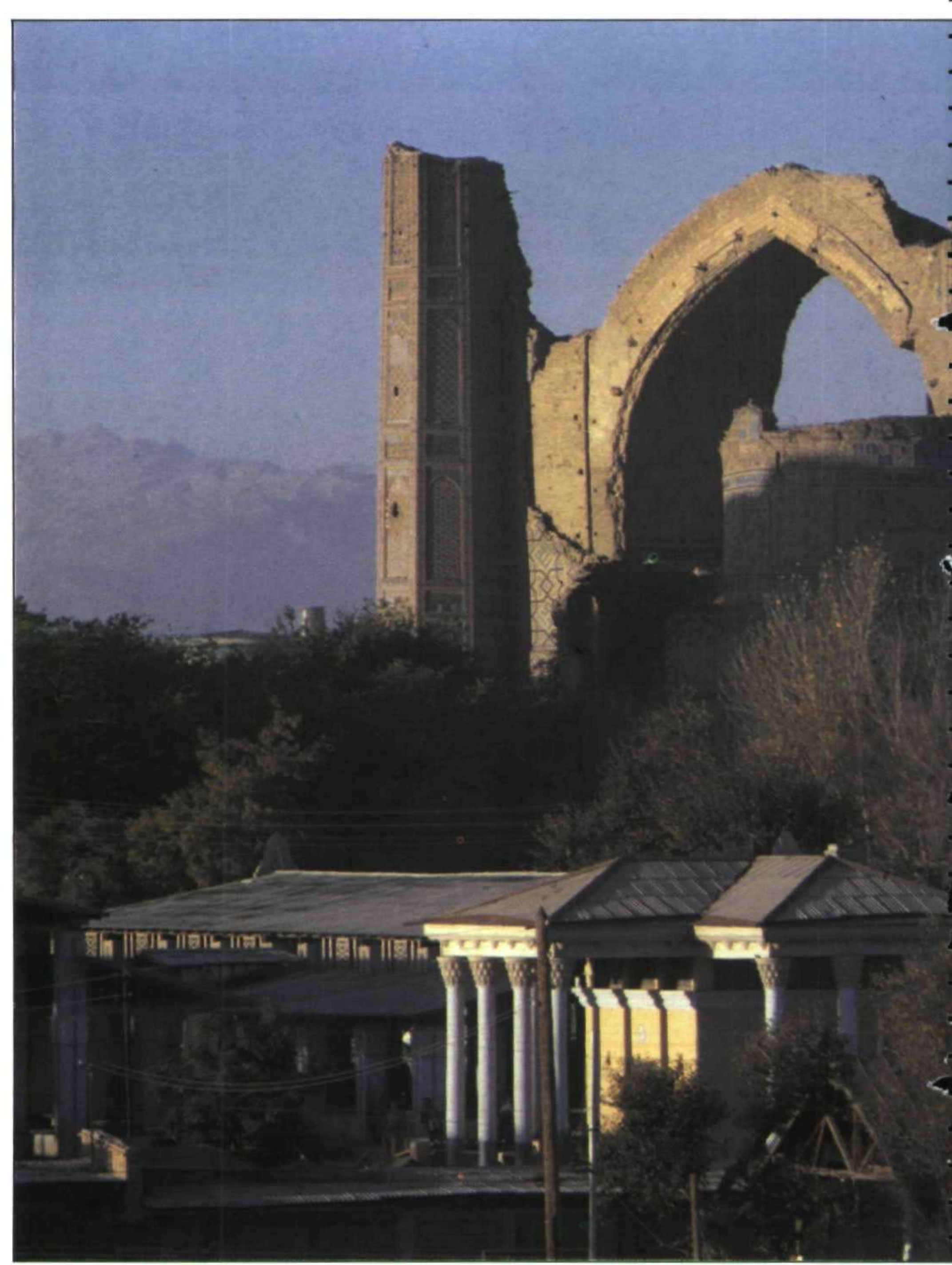
هكذا كانت حال سمرقند وبخاري وطشقند وغيرها، كانت مراكز علم وحضارة، يقصدها العلماء والدارسون، فأصبحت مواقع اثار يؤمها السواح ويزورها الموسرون . كانت الرحلة الى سمرقند دونها خرط القتاد، صعوبة طريق ومشقة سفر، نفح قر في الشتاء، ولفح حر في الصيف، إن أمن المسافر عثار الطريق لم يامن قطاعها ، وهو يغذ السير اليها الايام والاسابيع وربما الاشهر ، ان كان قصي الدار . أما اليوم فما هي الا ساعات يقضيها الزائر على كرسي مريح في الطائرة ، يطالع كتابا عن تاريخ سمرقند والأحداث التي مرت بها ، وما أكثرها ، منذ ان أنشئت قبل نحو ألفين وخمسمائة عام .

على ان الرحلة الى سمرقند ، سواء كانت في الماضي البعيد ام في الحاضر القريب ، لا تخلو من المشقة والمتعة . فقد كانت سمرقند مركز التجارة في الجزء الشمالي من وسط آسيا ، وكان لا بد للقوافل المتجهة من سيبيريا الى الهند ومن الصين الى مصر ان تمر بها . كذلك كان للفرس والترك والمغول والعرب شأن فيها . فتحها الاسكندر ، وخربها جنكيزخان ، وبناها تيمور لنك فأشاد وأعلى، حتى أصبحت تحفة الأمصار ووجهة الانظار . وهو الذي خرب بغداد ، قبيل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، وهدم حصونها وقلاعها ودمر آثارها وأسوارها .

لمحة تاريخية

لعله من المستحسن ، ونحن في مستهل حديثنا ، أن نعرض لتاريخ سمرقند قبل ان يشيدها تيمور لنك ، ونقرأ ما كتبه الجغرافيون عن تلك المدينة العريقة ذات التاريخ المجيد الحافل .

يقول أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، المتوفى سنة ٩٥٧ م في كتابه «مسالك الممالك» طبعة «ليون» ص ٣١٦ : «وقصبة السغد سمرقند ، وهي مدينة على جنوبي وادي السغد مرتفعة عليه ، ولها قلعة ، ومدينة وربض ، فأما القلعة ففيها الحبس ودار الامارة عامران ، وأما المدينة فلها سور وأربعة أبواب : باب الصين في جهة المشرق ، وباب نوبهار في جهة المغرب ، وباب بخارى في جهة الشمال ، وباب كش (بلدة تيمور لنك) في جهة الجنوب . ولها أسواق ومساكن وماء جار يدخل اليها ... فليس من سكة ولا دار الا وفيها ماء جار الا القليل ، وقل دار تخلو من بستان ، حتى انك اذا صعدت القلعة لم تبد المدينة للنظر لاستتارها بالبساتين والأشجار ، واكثر الاسواق والتجارات في الربض (الضواحي) الا شيئا يسيرا في المدينة ... ويزعم الناس ان «تبعًا» بنى مدينتها وان «ذا القرنين» أتم بعض بنائها، ورأيت على باب كش صفيحة من حديد قد كتب عليها كتابة زعم اهلها انها بالحميرية، وانهم يتوارثون علم ذلك بأنه بناء تُبَّع، وكتب عليه انه من صنعاء الى سمرقند الف فرسخ، وان كتابته من ايام تُبَّع. فوقعت فتنة بسمرقند في ايام مقامي بها وأحرق الباب وذهبت الكتابة، وأعاد ذلك الباب محمد بن لقمان بن نصر بن احمد بن أسد كما كان من حديد من غير تلك الكتابة ... والبلد كله، طرقه ومحاله وسككه الا قليلا مفترش بالحجارة ...»



ونترك الاصطخري وما كتبه عن سمرقند قبل نيّف وألف سنة لنطالع في كتاب «الكامل في التاريخ» لعزالدين ابي الحسن علي بن الأثير المتوفى سنة ١٢٣٤ م حيث كتب في الجزء التاسع ضمن باب «خروج التتر الى بلاد الاسلام» وما فعلوه ، بقيادة زعيمهم جنكيز خان ، من دمار وخراب ، فقال : «... ثم رحلوا (أي التتر) نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزم شاه (حاكم تلك البلاد) عنهم ، وهم بمكانه بين ترمذ وبلخ ، واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى (وكانت بخارى قد سقطت في أيدي التتر قبل سمرقند) فساروا بهم مشاة على أقبح صورة ، فكان من اعيا وعجز عن المشي قتل. فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والأسارى والأثقال وراءهم حتى تقدموا شيئا فشيئا ليكون أرعب لقلوب المسلمين . فلما رأى أهل البلد سوادهم استعظموه . فلما كان اليوم الثاني وصل الاسارى والرجالة والاثقال ، ومع كل عشرة من الاسارى عَلَم ، فظن أهل البلد ان الجميع عساكر مقاتلة ، وأحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية وأما عامة البلد فلا يحصون كثرة . فخرج منهم شجعان اهله واهل الجلد والقوة رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين ، فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد ، فلم يزل التتر يتأخرون وأهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم ، وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينا ، فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد . ورجع الباقون ، الذين انشبوا القتال اولا ، فبقوا في الوسط ، وأخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم أحد ، قتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم وكانوا سبعين الفا على ما قيل ... »

لقد حدث ذلك في محرم سنة ٦١٧ للهجرة ، حوالي عام ١٢٢٠ للميلاد ، وكان ذلك هو الدمار الثاني لسمرقند ، اذ كان الاسكندر قد دمرها عندما غزاها قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون .

أما ياقوت الحموي الذي عاش بين عامي ١١٧٩ م و ١٢٢٩ م وهو مؤرخ ثقة وجغرافي عربي مشهور فقد تحدث في الجزء الحادي عشر من كتابه «معجم البلدان» عن سمرقند فقال : « بلد معروف مشهور ، قيل انه من ابنية ذي القرنين بما وراء النهر ، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة علية ، قال ابو عون : سمرقند في الاقليم الرابع طولها تسع وثمانون درجة ونصف ، وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف ، وقال الازهري : بناها شمر ابو كرب فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند ، هكذا تلفظ به العرب في كلامها وأشعارها ، وقال يزيد بن مفرغ يمدح سعيد بن عثمان وكان قد فتحها :

لهفي على الأمر الذي
كانت عواقبه الندامة
تركي سعيدا ذا الندى
والبيت ترفعه الدعامة
فُتحت سمرقند له
وبنى بعرصتها خيامه

بقية آثار من مسجد بيبي خانم في سمرقند ، لاتزال شامخة فوق المساكن الحديثة .



وذكر المفجع في كتاب «المنقذ من[١] الايمان في اخبار ملوك اليمن» قال : « لما مات ناشر ينعم الملك ، قام بالملك من بعده شمر بن افريقيس بن أبرهة ، فجمع جنوده وسار في خمسمائة ألف رجل حتى ورد العراق ، فأعطاه « يشتاسف » الطاعة ، وعلم ان لا طاقة له به لكثرة جنوده وشدة صولته ، فسار من العراق لا يصده صاد الى بلاد الصين ، فلما صار بالصغد اجتمع اهل تلك البلاد وتحصنوا منه بمدينة سمرقند ، فأحاط بمن فيها من كل وجهة حتى استنزلهم بغير امان ، فقتل منهم مقتلة عظيمة وأمر بالمدينة فسميت شمركند ، اي شمر هدمها ، فعربتها العرب فقالت سمرقند . »

وقد ذكر ذلك دعبل الخزاعي في قصيدته التي يفتخر فيها ويرد بها على الكميت ويذكر التبابعة :

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا قديما سمرقندا
وهم غرسوا هناك التبتينا

وقيل : « إن سمرقند من بناء الاسكندر ، واستدارة حائطها إثنا عشر فرسخا ، وفيها بساتين ومزارع وأرحاء ، ولها إثنا عشر بابا ، من الباب الى الباب فرسخ ، وعلى أعلى السور آزاج وأبرجة للحرب ، والأبواب الاثنا عشر من حديد ، وبين كل بابين منزل للنواب ، فاذا جزت المزارع صرت الى الربض وفيه أبنية وأسواق ، وفي ربضها من المزارع عشرة آلاف جريب ، ولهذه المدينة ، اعني الداخلة ، أربعة أبواب ، وساحتها الفان وخمسمائة جريب ، وفيها المسجد الجامع والقهندز وفيه مسكن السلطان ، وفي هذه المدينة الداخلة نهر يجري في رصاص ، وهو نهر قد بني عليه مسناة عالية من حجر يجري عليه الماء الى ان يدخل المدينة من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله ، وقد عمل في خندق المدينة مسناة واجري عليها ، وهو نهر يجري في وسط السوق بموضع يعرف بباب الطاق ، وفي المدينة مياه من هذا النهر عليها بساتين ، وليس من سكة ولا دار الا وبها ماء جار الا القليل ، وقلما تخلو دار من بستان حتى انك اذا صعدت قهندزها لا ترى ابنية

المدينة لاستتارها عنك بالبساتين والاشجار ، فأما داخل سوق المدينة الكبيرة ففيه أودية وأنهار وعيون وجبال ، وعلى القهندز باب حديد من داخله باب آخر حديد ، ولما ولي سعيد بن عثمان خراسان في سنة ٥٥هـ من جهة معاوية عبر النهر ونزل على سمرقند محاصرا لها ، وحلف لا يبرح حتى يدخل المدينة ويرمي القهندز بحجر أو يعطوه رهنا من أولاد عظمائهم ، فدخل المدينة ورمى القهندز بحجر فثبت فيه فتطير أهلها بذلك وقالوا : ثبت فيها ملك العرب ، واخذ رهائنهم وانصرف .

فلما كانت سنة ٨٧هـ عبر قتيبة بن مسلم النهر وغزا بخارى والشاش ونزل على سمرقند ، وهي غزوته الأولى ، ثم غزا ما وراء النهر عدة غزوات في سنين سبع وصالح اهلها على ان له ما في بيوت النيران وحلية الأصنام ، فأخرجت اليه الاصنام فسلب حليها وأمر بتحريقها ، فقال سدنتها : ان فيها اصناما من احرقها هلك ! فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدي ، وأخذ شعلة نار وأضرمها فاضطرمت ، فوجد بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب خمسين الف مثقال . وبسمرقند عدة مدن مذكورة في مواضعها ، منها : كرمانية ودبوسية واشر وسنة والشاش ونخشب وبناكث ، وقالوا : ليس في الارض مدينة انزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفا من سمرقند ، وقد شبهها حضين بن المنذر الرقاشي فقال : كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للاشراق ونهرها المجرة للاعتراض وسورها الشمس للاطباق . وقال احمد بن واضح في صفة سمرقند :

علت سمرقند ان يقال لها
زين خراسان جنة الكور
أليس أبراجها مُعلّقةً
بحيث لا تستبين للنظر
ودون أبراجها خنادقها
عميقة ما ترام من ثغر
كأنها وهي وسط حائطها
محفوفة بالظلال والشجر
بدر وأنهارها المجرة والآ
طام مثل الكواكب الزهر

وقال البستي :

للناس في اخراهم جنة
وجنة الدنيا سمرقند
يا من يسوي أرض بلخ بها
هل يستوي الحنظل والقند ؟

كذلك زارها ابن بطوطة في رحلته التي بدأها من طنجة بالمغرب في شهر رجب سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥م) وذكر الصعوبات التي كانت تواجههم أثناء تنقلهم في تلك المناطق الباردة . وقد مر ابن بطوطة بمدينة بخارى ، التي خربها جنكيزخان ، ومنها اتجه الى سمرقند فعدد محاسنها ومدح أهلها قائلا : « ولأهلها مكارم أخلاق ومحبة في الغريب » ويبدو ان هذه الصفات أصيلة في أهلها وغير مكتسبة ، اذ لا يزال الزائرون لها يمدحونهم حتى هذه الأيام .

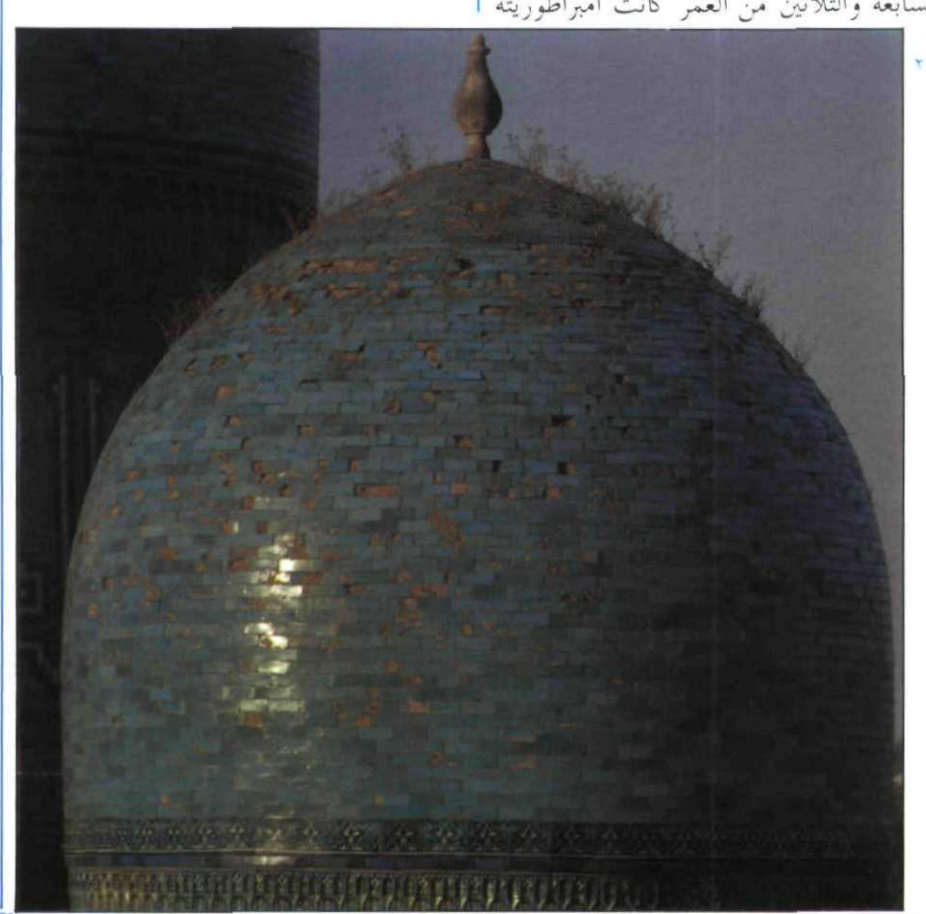
سمرقند عاصمة الامبراطورية

ولد تيمورلنك في بلدة «كش» القريبة من سمرقند سنة ١٣٣٦ م . وعندما بلغ السابعة والثلاثين من العمر كانت امبراطوريته تمتد من مدينة موسكو ، عاصمة روسيا حاليا ، الى سور الصين العظيم . وكحاكم أعلى لتلك الامبراطورية أراد تيمور أن تكون له عاصمة عظيمة في مستوى تلك الدولة المترامية الاطراف . فبعد استيلائه على بلاد فارس والهند جمع أحسن من كان فيهما من المعماريين والبنائين المهرة والصناع وأحضرهم الى سمرقند ، ليبدأوا بانشائها ، فما ان أتموها حتى أصبح ذكرها على كل لسان : جمال مكان وضخامة بنيان وفخامة عمران .

لم يكن هناك مواد بناء في سمرقند عندما بدأ البناؤون عملهم ، فاتجهوا الى الصحراء المحيطة بالمدينة يجمعون التراب الناعم ويمزجونه بالقش وبالطين اللزج الذي يستخرجونه من النهر القريب الجاري في وسط الموقع . ومن هذا الطابوق أو اللبن المحروق أخذوا يبنون القباب ويرفعون المآذن ، ثم أخذوا يمسحون

١ ـ إحدى مآذن سمرقند بنقوشها الاسلامية الرائعة .

٢ ـ جانب من النقوش الرائعة في « شاه زنده » .


٢

الجدران بالطين ويصقلونه على مهل ، وبعدها صاروا يزخرفون الواجهات بشتى أنواع الزخارف الهندسية والكتابية ، ويلونونها باللون الأزرق — لون تيمورلنك المفضل ، حتى اذا ما أتموا زخرفة المباني من اعلاها الى أدناها وأتموا تلوينها بالأزرق الزاهي غدت سمرقند المدينة الاسطورة في سائر المعمورة .

وان كان الزمن قد عفا على الكثير من زخرف المدينة وبهائها ، فان ما بقي من سمرقند حتى الان يكفي لاجتذاب السائحين من شتى بقاع الارض . ومع ان تلك المباني الضخمة الفخمة قد بنيت بالطين اللازب فقط ، الا ان متونها لا تزال صامدة امام عوادي الزمن وصنوف الأهوال والمحن .

سمرقند في العصر الحديث

لقد ظلت بخارى وسمرقند منطقة عصية على غير اهلها ، لا يستطيع عبورها احد من غير المسلمين . وقد حاولت بريطانيا وروسيا ، وكانتا أقوى دولتين في العالم خلال القرن التاسع عشر ، إرسال بعثات سرية تستطلع أخبار تلك البلاد دونما فائدة ، اذ كان مصيرها الفشل والعودة .. او لا خبر يسمع عنها . وحتى بعد ان اخذت روسيا باحتلال أواسط آسيا ، ظل أمر دخول تلك المناطق شاقا يستلزم الحصول على اذن مسبق يحتاج بضعة شهور حتى يمكن توفره . فاذا حصل الزائر على اذن بالزيارة بقي أمامه مشقات الطريق بالقطار من موسكو الى اوديسة — في جنوب روسيا ، ومنها يقطع البحر الاسود بالباخرة ، ثم مرحلة على ظهور الخيل وبالعربات عبر الجبال والوهاد ، تعقبها رحلة بحرية عبر بحر قزوين ، ثم رحلة مع قوافل الجمال عبر صحراء كراكوم الى مدينة سمرقند ، وما كان اشقها من رحلة وأقصاها وأبعدها من بلاد .

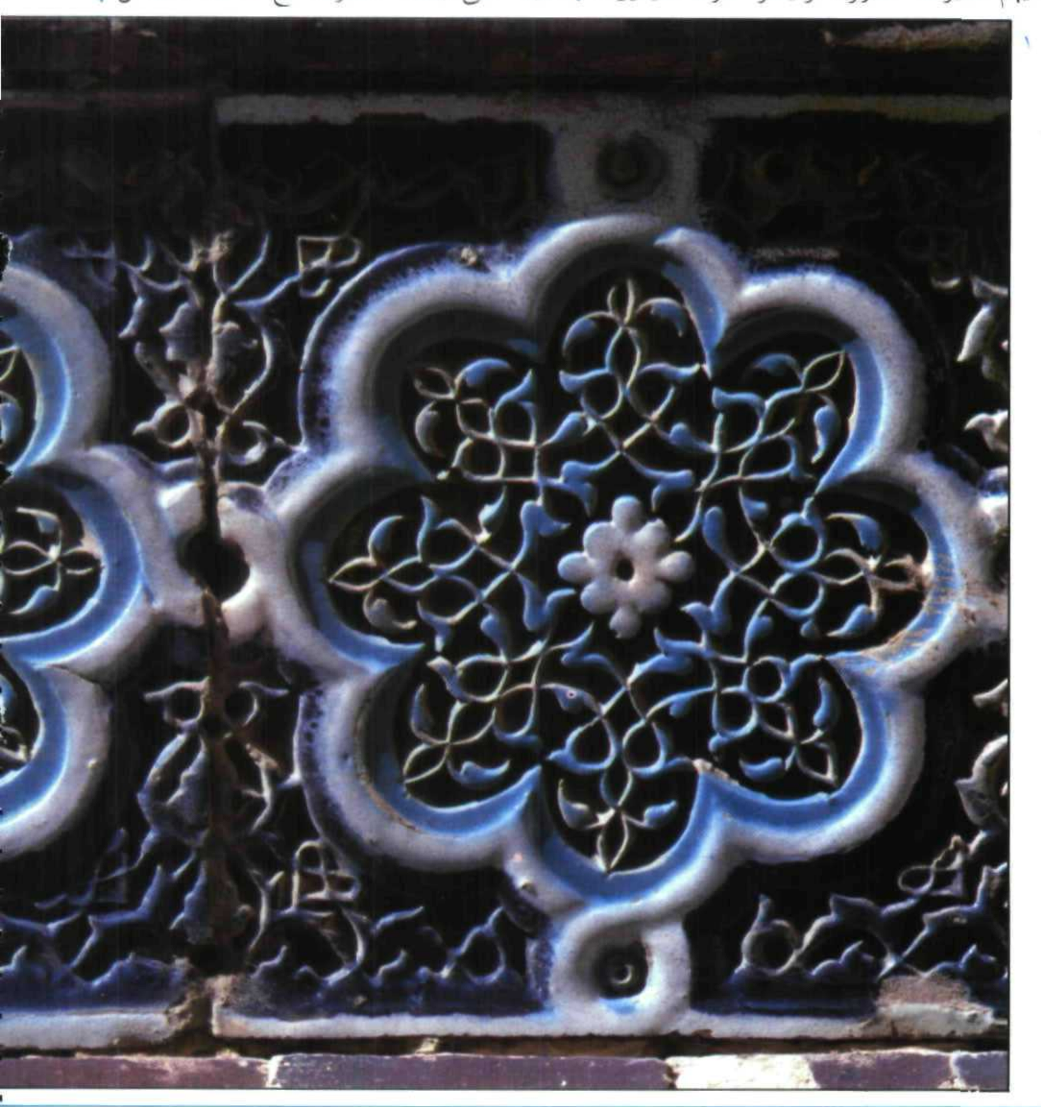
وفي أواخر القرن التاسع عشر تقلصت مدة الرحلة الى أقل من اسبوعين . ففي سنة ١٨٨٨ افتتح خط سكة حديد من مدينة « سينت بيتسبرغ » الى سمرقند رأسا ... لا جمال ولا خيول ولا مراكب ، غير انه كان على المسافر ان يأخذ معه ما يحتاج من فرش ووسائد وألحفة . وفي مطلع القرن الحالي انخفضت مدة الرحلة الى نحو خمسة ايام ... من موسكو الى اورنبرغ الى طشقند ، ومنها الى سمرقند . وحتى في الثلاثينات ، من هذا القرن ، كانت الرحلة بالقطار لاتزال شاقة .. لا مقاعد مريحة ولا فرشاً ولا وسائد .

أما اليوم فلا تستغرق الرحلة من موسكو اكثر من اربع ساعات بالطائرة ، يعبر بها المسافر أجواء تلك المناطق ، ويشاهد من تحته نهر الفولغا — أحد أنهار العالم العظمى ، يتلوى كأنه أفعى ضخمة ، والغابات الشاسعة ذات الاشجار الملتفة ، والبحر الاسود وبحر قزوين ، والصحارى الواسعة التي عبرها ، ذات يوم مضى ، الاسكندر الاكبر ، وقبائل المغول ، وجنكيزخـان بجيوشه ، ومن بعدهم تيمورلنك الأعرج .

ومع نسمات الهواء الحار في النهار تثور الأتربة الناعمة في موجات متتالية فوق الرمال المحيطة بالمدينة وكأنها تحيّي القادمين الجدد ، فهم ضيوف عابرون وليسوا غزاة مقيمين . وان كنت ترى السائحين يغذون السير وراء دليلهم حتى لا تضيع الفرصة عليهم ، فانك ستشاهد الكثيرين من أهالي سمرقند وقد جلسوا وقت الظهيرة في ظلال الاشجار الكثيرة التي لا تزال — كما قال عنها المؤرخون القدامى — تملأ المدينة ، تكاد تخفي مبانيها . وفي تلك الظلال الوارفة يحتسي الناس الشاي الاخضر جلوسا على مقاعد خشبية فوقها السجاد المصنوع محليا . وقد يتناولون غداءهم في تلك الجلسات اليومية المتكررة .

سمرقند الأثرية

وحتى يستطيع الزائر ان يرى « المدينة الزرقاء » أو بالأحرى ما تبقى منها ، فان عليه ان يغادر « ميدان لينين » الذي تكثر فيه محلات بيع العصير المثلج ، ويدخل في متاهة من الأزقة المتعرجة . وما ان يصل المرء الى غايته حتى يقف مشدوها مع صحبه ، يتأمل



الآثار الرائعة التي لا تزال تحتفظ بسمات الجمال والبهاء على الرغم من الاحداث والمحن التي مرت بها .

ففي ميدان ريكستان ، الذي وصفه احد الرحالة السابقين ، بأنه أعظم ميدان في العالم ، في ذلك الزمان ، يقف الزائر وينظر حواليه ، فيجد ان الميدان محاط بثلاث مدارس ضخمة ، واحدة في كل جانب ، بينما ترك الجانب الرابع مفتوحا كباب واسع لهذا الميدان الفسيح . ففي احد الجوانب مدرسة تدعى « شيردار » ، أي دار الأسد أو عرينه ، وفي واجهتها الامامية ، فوق المدخل ، نقش رسم الأسدين وغزالين ، وعلى كل من جانبي الباب مئذنة عالية عليها نقوش ظاهرة الجمال ؛ وفي الجانب الثاني مدرسة « طلاكـاري » اي المطلية بالذهب ، وذلك لكثرة الذهب الذي استعمل في تزيينها وتلوينها ، وقد بنيت هذه المدرسة في أواخر النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي . اما في الجانب الثالث فتوجد مدرسة « أولوغ بك » وهو اسم العالم الفلكي المشهور وحفيد تيمورلنك ، وقد زينت الواجهة الامامية لهذه المدرسة بالعديد من اشكال النجوم والكواكب . وفي داخل هذه المدارس توجد الفصول الدراسية والقاعات ذات الزخارف الجميلة .

مرصد أولوغ بك

يقوم مرصد أولوغ بك المشهور على تلة صغيرة خارج سمرقند . وتعبر اليه على صفين من السلالم الصخرية الى ان تصل الى مكان واسع شبه مظلم به اداة الرصد



١ ـــ قطعتان من البلاط الموزاييك المزركش . وكان اللون الأزرق هو اللون المفضل عند تيمورلنك.

٢ ـــ أحد الصناع المهرة يجهز طينا خاصا لاصلاح بعض الآثار في مدرسة « شيردار » .

٢



السداسية الضخمة . وكان هذا المرصد من أضخم المراصد المعروفة في العالم خلال القرن الخامس عشر الميلادي . وقد استطاع أولوغ بك ، مع أخيه العالم الفلكي ، تحديد اكثر من الف نجمة كان يرقبها ليلا في سماء صحراء كراكوم الصافية . وقد أصبحت سمرقند في ايامه مركزا للعلوم والآداب ، كما وضع خريطة للكواكب اعتبرت اول أدق خريطة لها . وقد استخدمت الخريطة في كثير من المعاهد العلمية واعتمدها علماء الفلك الصينيون من بعده .

مسجد بيبي خانم

أمّا مسجد بيبي خانم ، الذي أقيم في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، فلم يبق منه غير اسوار مهدمة ، وقبة تداعى سقفها وتصدعت جدرانها . أما مدخله الرئيسي فلم يبق منه غير قوس ضخم وبقايا مئذنتين على جانبيه ، لاتزال النقوش الهندسية ظاهرة على قاعدتيهما . لكن هذه البقايا لاتزال شامخة في مكانها ، تطل على أبنية سمرقند الحالية التي تبدو قزمة اذا ما قورنت بها وبعظمتها الغابرة . وقد يعجب المرء اذا ما علم ان هذا البناء الضخم ، الذي كان يعتبر اجمل الاثار في العالم ، قد اقيم من الطين فقط ولم يستخدم فيه شيء من الحديد أو الخشب أو الاسمنت .

أسواق المدينة

بجوار مسجد بيبي خانم يقوم سوق الفاكهة المركزي حيث يشاهد المرء ، وفي فصل الصيف ، أكوام البطيخ السمرقندي الحلو ، الذي قيل انهم كانوا يقددونه ويجففونه كاللحم ، واكوام الرمان اللذيذ ، ومئات الأقفاص من العنب الشهي بألوانه المتعددة — الأخضر والاحمر والزهري والأسود التي يحار المشتري من ايها يختار . ومع انه اصبح في سمرقند اليوم عدد من الصناعات الحديثة الصغيرة ، الا انها لا تزال المدينة الجميلة المقامة في واحة وسط صحراء واسعة يسقيها نهر تتدفق المياه اليه من ثلوج جبال « سيلتان » على مسافة ٣٢٠ كيلومترا الى الشرق من المدينة .

وعلى مشارف سمرقند تقام سوق سنوية عامة ، يحضرها العديد من الناس ، من كل جنس وهيئة ، من القاطنين في تلك المناطق ، منهم من يأتي ليبيع أو يبتاع ومنهم من يأتي للغرضين معا . وفي السهل المنبسط ترى الناس وقد افترشوا الارض يعرضون بضائعهم ومصنوعاتهم من كل نوع : السجاجيد والبسط ، والأواني الخزفية والفخارية والنحاسية ، والملابس على اختلاف اشكالها مصنوعة من فرو أو صوف أو وبر ، والطبول الملونة والحقائب الجلدية والمناديل المزركشة ، والمفارش المطرزة للاسرَّة والطاولات . والى جانب ذلك تجد بائعي الأطعمة بقدورهم المملوءة بقطع اللحم الشهي يغلي في الحساء الثخين ، تفوح منه رائحة البهارات الزكية ، وبقربه رقائق الخبز الطازج .

ضريح تيمورلنك

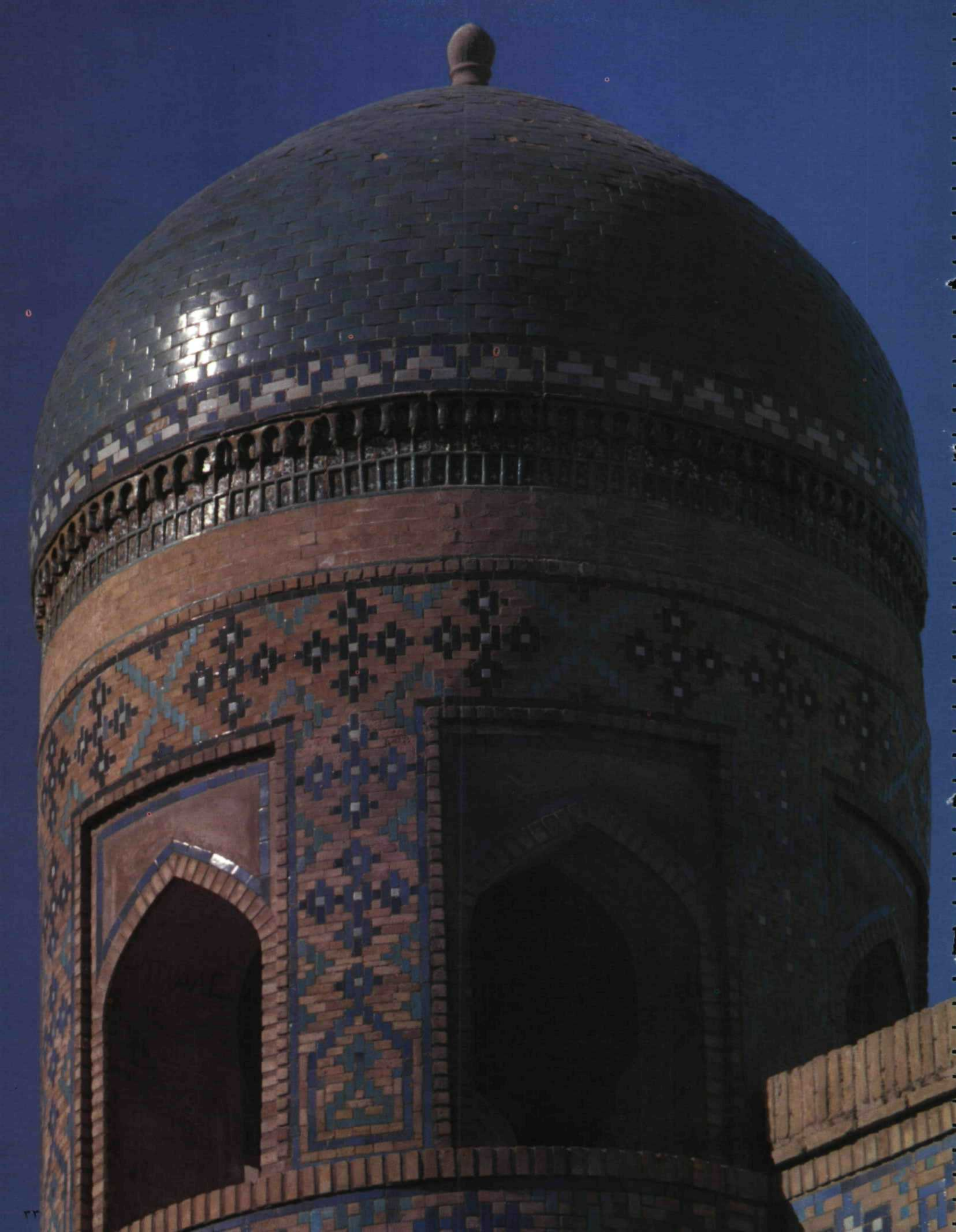
يقع ضريح تيمور في الناحية الشمالية من المدينة حيث تقوم مقبرة تاريخية قديمة . وعلى تل ، يرتفع قليلا في ذلك السهل المنبسط ، اختار تيمور المكان الذي يدفن فيه . والزائر لتلك المقبرة يشاهد مجموعة من القبب الجميلة المقامة فوق الأضرحة . وقد كان ذلك المكان ولا يزال منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، محط انظار الزائرين لتلك البقاع . واذا ما دخل الزائر الممر الضيق المؤدي الى ضريح تيمور فانه يشاهد على جانبي الممر عددا من المساجد الصغيرة والأضرحة ، منها ضريح شقيقة تيمورلنك ، وممرضته ، وعمه وابنه وزوجته الأولى وأستاذه . ويشكل كل ضريح منها وحدة مستقلة تشع عليها الشمس فتموج ألوانها المتفاوتة الزرقة — بين مياه البحر العميقة ومياه الينابيع الرقراقة ، وزرقة السماء الصافية والعيون الجارية في الجبال الشاهقة ، فقد كان اللون الأزرق هو المفضل عند تيمور . وقد يعجب الزائر وهو يشاهد هذه الزرقة الزاهية كيف لاتزال تحتفظ برونقها وبهائها وكأنه لم يمض عليها نحو ستة قرون ، تعاورتها خلالها تقلبات الجو ، قر وحر ، وعواصف هوج ، وأمطار وثلوج ، فلم تأخذ من رونق هذه الزرقة الباقية وجمالها الأخاذ الا بمقدار ما يأخذ النظر .

ولا تزال قبة ضريح تيمور ، مع ما أصابها على مر الزمن ، ترتفع بين اشجار السنط ، يقودك اليها ممر ضيق يؤدي بك الى قاعة معتمة من الرخام ، مرصعة بالأحجار الثمينة والكتابات المذهبة ، وفي جانب منها يتسلل الضوء خافتا ، من خلال نوافذ شبكية من المرمر ، فيسقط على سرداب من تحتها ، فيشيع في النفس السكون وشتى انواع الفكر .

وفي وسط تلك القاعة المهيبة ترى قبور تيمورلنك وحفيده ومعلم تيمور . وقد تميز قبر تيمور ، الذي يحاذي قدمي معلمه ، برخامة خضراء يقال ان اميرة مغولية ارسلتها الى سمرقند لتوضع على القبر ، كما يقال كذلك ان أولوغ بك هو الذي احضرها لتوضع عليه ، وقد كتب بالعربية على تلك الرخامة بعض من سيرة تيمور ، الذي كان قد اعد جيشا قوامه مائتا ألف رجل ليعبر بهم الى ما وراء سور الصين العظيم . غير ان المرض اشتد عليه في أحد ايام شهر يناير الباردة من عام ١٤٠٥ م فقضى نحبه وهو على مسافة ٦٤٠ كيلومترا من سمرقند . فغسل جثمانه وكفن وحمل الى سمرقند ، مدينته المفضلة ، حيث دفن في أرضها ، تحيط بسيرته الأساطير ، ويدونها المؤرخون مزيدا عليها أو منقوصة ، فيها من الغموض بقدر ما فيها من الاثارة . □

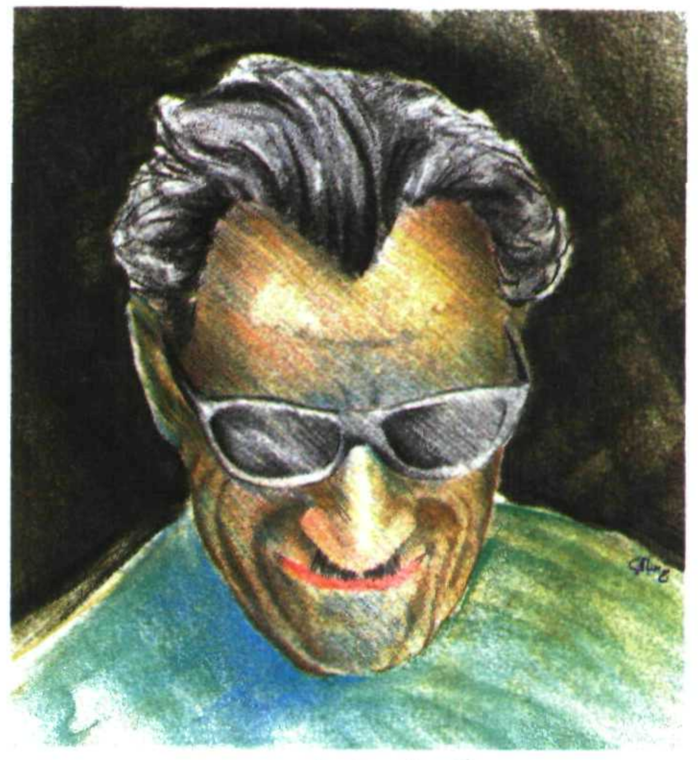
تصوير : **جون فيني** / مجلة ارامكو وورلد

إحدى القبب الاسلامية في سمرقند ، لاتزال تحتفظ بروعة جمالها على الرغم من تقلبات الجو وحوادث الزمان .



مع طه حسين في سجن أبي العلاء

« ٢ »



بقلم : فهد علي النفيسة / الولايات المتحدة

في معزل عن المعري وطلابه، يضع طه في يدك رزْمة من الصحاف والرقاع ويقول لك : هذه هي اللزوميات .. « أرأيت الى هذه الصحاف الكثيرة وهذه القصائد الطوال والقصار وما تحمله من معاني وما تتكلفه من صياغة . انها ليست نتيجة العمل وانما هي نتيجة الفراغ ، وليست نتيجة الجد والكد وانما هي نتيجة العبث واللعب ، وإن شئت فقل : انها نتيجة عمل دعا اليه الفراغ ونتيجة جد جر اليه اللعب » .

ويقدر طه انك ستثور في وجهه انكارا لهذا الرأي فيسارع بالقول : « سأوضح لك ذلك بعض التوضيح فقد أهدىء من ثورتك وأحول انكارك الى إقرار واعتراف » .

ثم يأخذ في التوضيح ، فيصف لك تصوره لذلك الفراغ الزمني الواسع الذي عاشه أبو العلاء في سجنه ، ويعدد على مسمعك الأوقات التي تمر بالشيخ من غير شغل يشغله ، ويجتهد في أن يصور لذهنك مدى مشقة تلك الأوقات وقسوة ذلك الفراغ على نفس أبي العلاء ، ثم يخاطبك قائلا : « اذن فقد كانت أوقات الفراغ لأبي العلاء طويلة شاقة أطول مما يستطيع وأشق مما يطيق . ولم يكن له بد من أن يستعين على هذه الأوقات بما يسليه ويلهيه في براءة للنفس ونقاء للقلب وطهارة للضمير حتى يدركه النوم وحتى يدخل عليه الطلاب والزائرون » .

« .. ونظر أبو العلاء فرأى نفسه بين هذه الالفاظ التي لا تكاد تحصى وبين هذه المعاني والآراء التي لا تكاد تحصى أيضا . ولم يجد معه الا هذه المعاني وتلك الألفاظ .. فلم لا يلعب بهذه الألفاظ ؟ ولم لا يلعب بهذه المعاني ؟ ولم لا يتخذ من الملاءمة بينها على اكثر عدد ممكن من الأوضاع والأشكال والضروب سبيلا الى التسلية والتلهية والاستعانة على الفراغ ؟ » .

لم يستطع طه برسمه البياني هذا ان يحد من ثورتي على هذه الأفكار ، فاللزوميات لم تكن — على ما أستطيع أن أقدر — نتيجة اللهو ، ولم يقصدها أبو العلاء للتسلي . وإنما كانت نتيجة الشدة التي أخذ أبو العلاء نفسه بها ، والقيود التي فرضها عليها . فقد أمْلَت عليه فلسفته ان يتكلف الشدة من كل جانب ، وان يطلب الصعاب في كل ناحية ، وان يقسو على نفسه ما وجد الى ذلك سبيلا . كل هذا لرغبة جامحة في الامتياز والتفرد مع يأس مفرط وتشاؤم مسرف .

ألا ترى معي أن هذا السجن الثالث الذي عاشه وأحس به أمَرّ الحس وهو « كون النفس في الجسم

الخبيث » إنما هو في عالم فكره فحسب ، ذلك العالم المشحون بالفلسفات القاسية ؟ .

وهذا السجن الذي فرضه حول نفسه حين ألزمها دارا واحدة لا تفارقها نحو تسعة وأربعين عاما منذ غادر بغداد الى أن غادر الحياة ، إنما هو من صنع ذلك العالم الفكري القاسي وتلك الفطرة المتشائمة اليائسة ؟ .

وعندي يقين أو ما يشبه اليقين بأن أبا العلاء لو عاوده بصره لتمنى فقده بكل قلبه ، ورجا ربه ذلك آناء الليل وأطراف النهار ، ليضع بذلك نفسه في سجن فوق ما صنعه لها بيده من سجون ، أليس هو القائل :

وبصير الأقوام مثلي أعمى   فهلموا في حندس نتصادم

وقد روى عنه صاحب « تتمة اليتيمة » عن أبي الحسن الدلفي قال : « سمعته يقول : انا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر ، فقد صنع لي ، وأحسن بي ، إذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء » .

ولم يكن أبو العلاء رهين محبسين كما سمى نفسه ، بل لم يكن رهين سجون ثلاثة كما قال في شعره ، وانما كان رهين سجون عدة تزيد على الثلاثة حتى تكون ضعف ذلك أو أكثر .

إن إعراضه عن الزواج وما قيد به فطرته الجنسية يعد سجنا رابعا يضاف الى سجونه التي ذكرها في قوله :

أراني في الثلاثة من سجوني   فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولـزوم بيـتي   وكون النفس في الجسم الخبيث

وهذا الاعراض عن كثير من انواع الطعام واصناف الشراب هو سجنه الخامس. والتزامه في الشعر والنثر ما لا يلزم هو سجنه السادس.

لم يكن دافع ابي العلاء اذن الى نظم اللزوميات، الفراغ الشاق والرغبة في التسلية، بل كان دافعه الامتلاء الشاق والرغبة في التميز.

وهو أيضا لم يكن يعاني من فراغ كما ظن « طـه » ، فقد كانت عزلة الشيخ تعج بالزوار ، ومنزلـه مكتـظ بالمرتادين له من طلبة العلم والأصدقاء وغيرهم . وطه نفسه يدرك في موضع آخر من هذه الزيارة بأن الشيخ قد كان مشتغلا في منزله كل الاشتغال بما يعلم ويملي ويتدارس مع طلابه من فنون العلم والقول . فهو يقول : « وأدخلت على الشيخ في حجرة واسعة بعيدة الأرجاء قد جلس هو في صدرها على حصير لعله ان يكون أقرب الى البلى منه الى الجدة وبين يديه نفر يكتبون ، وفي الحجرة قوم آخرون كثيرون يسمعون ويعجبون ولكنهم لا يقيدون ما يسمعون » .

ويدرك طه ذلك من قبل هذا الادراك في كتابه « تجديد ذكرى أبي العلاء » فيقول : « فان الرجل لم يكد يبدأ سيرته الشاقة بمعرة النعمان حتى أخذ الناس يسعون اليه والحياء يحول بينه وبين ردهم .

والحق أن العزلة التامة لم تكن ميسورة لأبي العلاء وانما كانت أمنية ضائعة . فانه وإن زهد في كل لذات الحياة لا يستطيع أن يزهد في العلم والتأليف اللذين ملكاه واستأثرا به وكلاهما يكلفه عِشْرة الناس لاحتياجه الى من يقرأ له ويكتب عنه . لذلك لم يلبث بعد استقراره بالمعرة ان اشتغل بالتعليم فالتف حوله الطلاب وأخذوا يدرسون عليه اللغة وآدابها ، وما هو الا الزمن القليل حتى كثر سوادهم حوله . ثم لم تمض على هذه الحال أعوام حتى أخذ الناس يزورونه ويكتبون اليه فاستحالت عزلته الى أشد أنواع المعاشرة ... » .

إذن فما هو إلا الوقت اليسير حتى استحالت عزلة الشيخ الى نوع من المعاشرة هو أشد انواعها . فكيف يعاني من الفراغ الزمني ؟! وكيف يكابد في عزلته آلام الوحدة ؟!

ويغنينا عن كل هذا المعري نفسه إذ يقول :

يزورني القوم هذا أرضه يمن   من البلاد وهذا داره الطبسي

ولو سلّمنا جدلا بوجود فراغ في حياة الرجل فإنا لا نستطيع ان نسلم بأنه كان يبالي بذلك الفراغ وإلا لما طلبه في العزلة ، وها هو يقول وما أكثر ما يقوله في هذا المعنى :

فمن لي بأرض رحبة لا يحلها   سواي تضاهي دارة المتقارب
فما للفتى إلا انفراد ووحدة   اذا هو لم يرزق بلوغ المآرب

ويقـــــول :

وفي وحدة الانسان أصناف لذة   وكل صنوف الوحش يجمعها القفر

ويقـــــول :

وفي وحدة المرء ستـر لـه   فكن مثل سيفك حلف الربدْ

إن الرجل ممتلىء الاحساس فهو ميّال الى الوحدة نَزَّاع الى التفرد ، تلك الوحدة المخذولة ، لا ذلك الفراغ المتسلي . أو قل انها آمال الدنيا جميعا اذا ارتدت الى العزلة والانفراد ، الى الحيرة والتأزم ، الى الصيام والالتزام ، الى كل أنواع التضييق على النفس الممكنة التصور . عزلة في المكان، وعزلة في الكتابة، وعزلة في المعاشرة، وعزلة في المأكل والمشرب، وعزلة وهمية يحس فيها بأن ذاته لا تليق بروحه. صنوف من الشدة وأنواع من الحرمان تغور بأصولها

في نفسه الى رغبة واحدة جامحة هي الرغبة في التفرد والامتياز .

ولا يغربن عن بالك ما في اللزوميات من شكوى وضراعة ، وألم وبكاء ، وأنين وتأوه ، فهل يصح أن يُعَدّ هذا كله لهوا ؟! . هل يصح ان يعد من اللهو هذا التشاؤم وهذا النقد الذي أقل ما فيه احتقار الحياة ؟! . وهل يصح ان يكون من ذلك قول الشيخ في الدنيا ، وما أكثر ما يقوله فيها مثل هـذا :

قـد أصبحَتْ ونعاتُها نعَّاتها وكذلك الدنيا يخيب سعاتُها
كَّرارة أحزانهـا ضَّـرارة سكانهـا مـرارة ساعاتُهـا

فمن كان هذا عالم فكره وحسه هل يجوز لنا ان نعد خلاصة ذلك الفكر والحس من قبيل العبث واللهو والتسلية ؟! . لا يصح هذا في اعتقادي إلا إذا امكننا ان نقول عمن يبكي : انه يبكي للتسلية ، وعمن يتضور ألما : انه يتضور لهوا لتمضية الوقت . وما اللزوميات غير بكاء وشكوى وتألم وسخط وضجر وحيرة ودعاء ونصح وإرشاد .

وقول أبي العلاء في مقدمة لزومياته يغنيك عن كثير من البيان في هذا الشأن فقد قال : « قال ابو العلاء ... رهين المحبسين وانما قال بقضاء لا يشعر كيف هو :

كان من سوالف الأقضية اني انشأت أبنية أوراق توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب والميط ، ولا ازعمها كالسمط المتخذ ، وأرجو ألا تحسب من السميط ، فمنها ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ، ووضع المنن في كل جيد ، وبعضها تذكير للناسين ، وتنبيه للرقدة الغافلين ، وتحذير من الدنيا الكبرى .. وانما وصفت أشياء من العظة ، وأفانين على حسب ما تسمح به الغريزة . فان جاوزت المشترط الى سواه فان الذي جاوزت اليه قول عري من المين . وجمعت ذلك كله في كتاب لقبته : لزوم ما لا يلزم » .

فهو إذن يعد نفسه قد ألّف لزومياته بقضاء لا يتصل به علمه . وإنما ألّفها تمجيدا لله وتنبيها للناس الى بعض شرور الدنيا التي غفلوا عنها . وهو يؤكد انه قد قال متوخياً الصدق متنزها عن الكذب والشطط . وينفي عما قاله ان يكون كالآجر المبني بعضه فوق بعض ، ومراده ان النظم لم يكن مقصوداً لذاته ، وإنما هو وسيلة والغاية ذم الدنيا وتنبيه الغافلين .

أفبعدَ هذا يمكن القول بأنّ اللزوميّات قد كانت نتيجة اللهو والعَبَث الذي دَفَع إليه الفراغ الزمنـي ؟! أمّـا أنـا فـلا أرىٰ ذلـك □

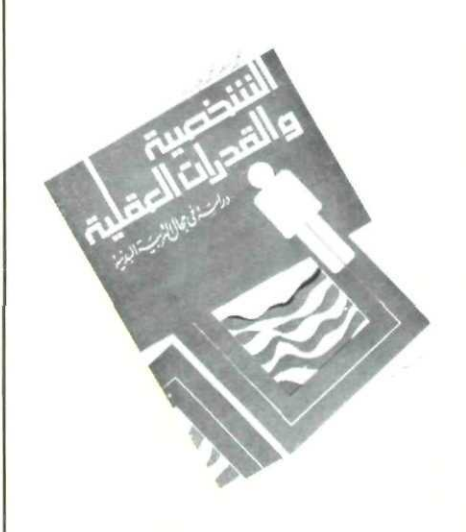
كتبٌ مهدّاة

★ « **مذكرات سليمان شفيق باشا** » وهو متصرف عسير من سنة ١٩٠٨ الى ١٩١٢ ، إبان فترة الحكم العثماني للمنطقة . وهي من أترع سنوات التاريخ بالأحداث بالنسبة الى عسير وما حولها ، حيث كان الادريسي يقوم بثورته ، والشريف حسين بن علي امير مكة تداعب آماله طموحات تتجاوز الحجاز الى غيرها ، والجمعيات السرية والعلنية العربية تعمل لاستقلال أمتها من الحكم العثماني ، والدول الغربية تعمل لتقاسم أملاك « الدولة العثمانية » ، والمذكرات تشرح جانبا من ذلك ، ضمن سياق الحديث عن أحوال وعادات قبائل عسير ، فضلا عن وصف للجوانب الطبيعية والجغرافية ، والكتاب من تأليف محمد بن أحمد العقيلي ، ويقع في ٢٠٦ صفحات من القطع المتوسط ، وهو من منشورات دار البلاد للطباعة والنشر بجدة □



★ « **علم الحشرات العام** » ، ويقع في ٤٣٨ صفحة ، وهو عبارة عن دراسة لتركيب الأجزاء المختلفة للحشرة وأجهزتها الداخلية ووظائفها الحيوية . ويتميز هذا الكتاب بالاختصار المبسط وبالاهتمام بالرسم وبالشكل التوضيحي لمحتوياته ، وهو من تأليف الدكتور شاكر محمد حماد □

كتب مهداة



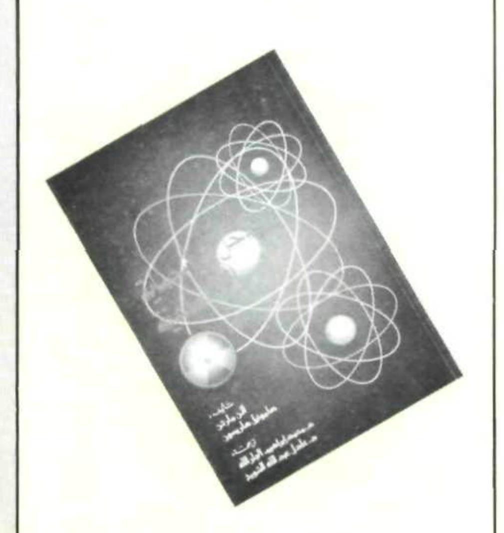
★ « **الشخصية والقدرات العقلية** » وهو عبارة عن دراسة في مجال التربية البدنية ، ويعالج هذا الكتاب موضوع القدرات العقلية والسمات الشخصية وعلاقة هذه القدرات والسمات بنتائج المباريات ، ويعد هذا الكتاب ، اسهاما في مجالات علم النفس الرياضي وهو من تأليف الدكتور محمد سعد محمد عبدالله ، ويقع في ٢٧٥ صفحة □



★ « **قضايا جامعية** » للدكتور صبحي عبدالحفيظ قاضي ، ويقع في ٢٨٥ صفحة ، وهو عرض وتحليل للقضايا الأساسية التي تعايشها الجامعات بصفة عامة وجامعات المملكة العربية السعودية بصفة خاصة ، منها القضايا الادارية والمنهجية ، والتي تتعلق بعضو هيئة التدريس وبالطالب الجامعي وبالبحوث وبالتقييم وغيرها □



★ « **المدخل الى دراسة علم التاريخ** » تأليف الدكتور حسين محمد سلمان ، ويقع في ١٩٨ صفحة . وهو يشتمل على قسمين ، الأول وهو عبارة عن نظرة الفكر النظري والفلسفي للتاريخ . والثاني ويدور حول التدوين والكتابة التاريخية . وقد تناول المؤلف عدة قضايا هامة لها أثرها مثل قضية الاستشراق والمستشرقين وكذلك علاقة علم التاريخ بالعلوم الانسانية عامة والاجتماعية خاصة □



★ « **المدخل الى الحماية الاشعاعية** » يعالج هذا الكتاب الاشعاع الذري ، الذي أصبح لا غنى عنه في الحياة المعاصرة ، وتقنية الحماية منه ، لدرء أخطاره أو الحد منها وخاصة بالنسبة للعاملين في مجالاته ، وكذلك حماية أفراد المجتمع من التعرض غير الضروري للاشعاع . وهو من تأليف آلن مارتن وصاموئيل هاريسون وترجمة د. محمد ابراهيم الجار الله و د. عادل عبدالله الشويخ ، ويقع في ٣٧٧ صفحة □

براعم تنبت فوق الثلج

شعر : أحمد محمد المعتوق / فيلادلفيا

طفل طري الظل تأكله السنونْ
تلـــوك في نهـم حشـــاه
وتمد أرجلها الحيارى في كهوف الليل
تســـحقُ في الجبـــــاه
طفل طري الظل ترهقه المغاور في الدروب
زهر البنفسج في حناياه وشطآن النجوم
مرح الضفائر والفراش يضمهُ
طيفاً نديّاً كالسواقي المورقات بها الجفون
لم يــــــدر ما طعم الهجير
ولم يذق كأس الليالي الهائمات بلا قرار
كالمـــاء مورقـة خطـــاه
همست عروق الأرض في دمه
عروق الأرض تنبت في الجــــرار

صيفٌ يئنُّ وحشرجاتُ الليل تندبُ ، والحنين
يُدمي ، يمزّق تمتمات العابرين :
ربّاه ما للظّل تقرضه الكلاب هنا وتمضي كل حين !
ما للكواكب لا تسافر في سمانا أو تغيب !
ليل ضرير سُمّرت عيناه في الأفق البعيد!
في كل عام تستعيد جلودها السنواتُ
تُحرق من جديـــد !
نيسان لم يلثم لنا أبداً جفونـــاً
لم يزرنا منذ أعوام طـــــــــوال
لم يشرب القيظ الصليب على العيـــون
لم يأتزر طفل سحابته المنمنمة الطرية
والطريـــــــــق
متمزق الخطوات تدفعه الرياح الى الوراء
بالمنّ والسّـــــلوى وعـــدت
فهب لنا خبزا ودمعاً ، صابــرون
لا يستغيثُ ولا يلوّحُ ، في انتظار
يقتاته ــ هو ذلك الطفل ــ المســـاء
نجمان في عينيه قد غفـــلا
وتجاهلا الليل الملثم والمساء





لم يعبآ بالوحل يُمزج بالطعام وبالهواء
لا يعبآن بغير جدته العجـــوز
وألف ألف من حكاياها الطـــوال
يتسامران اذا انطوى شبح الأصيل على الرمال
وبراءة الأطفال في عينيه تهزأ بالمحـــال
هو والظلام وطحلب عشق النجوم
وذؤابة بيضاء تسرح في مهاوي الأفق تهرش في الظلام
ويطل يسأل بعدما يخرَس في فمه النداء
من شرفتين برأس جدته العجوز :
اهل ترانا نختفي في الليل عن غول النهار !
أم هل ترانا تُقمر الأعماق فينـــا
أو يسيح الثلج من فـــــوق التلال !
ما للظلام هنا تحجر في غباء !!
فيطل شباكان عاجيان في وجه الغروب يهمهمان :
في كل أمسية تقول : سيخرج « الدجالُ »
يحفر في الجباه لهم عيـــون
وسيركضُون الى الصحارى مثلما تعدو الوحوش
وسيلهثون كما الكلاب ويشربون من الحميم
وبمجمر هزمت به الجن الشداد
تطارد الأشباح ، تقبع في قماقم من دخان



أسفا يتمتمُ : حيث كنّا والظلامُ
ما زال يومىء للكواكب أن تزول
ويرتمي حيث استقر به المكانُ !!
ويرتمي حيث استقر به المكان !!
وعلى الجـدار حطام فانوس عتيق
يجتر ما تحوي حشاشته الكئيبة من دخان
من ألف عـــــام
كم يئنّ ، يرفّ ، يلعق في الظلام بلا انتهاء
ويظل يرمق في ارتخـــــاء
يحنو فيعصر من بقايا قلبه نفساً مُضاءً
ويعابثُ الظل المحدّق في الفضاء
ظل الصبي الغض يسلخ في جلود الليل
يخـــــترق الجـــــدار
وبكلما يهذي ، يتمتم ، كل حرف في انتظار

ظاهرة تأصيل الظواهر اللغوية في الجزيرة العربية

مع كتاب

«دراسة صوتية في لهجة البحرين»

تاليف الدكتور : عبدالعزيز مطر   عرض الدكتور : يوسف نوفل / الرياض

للدكتور عبد العزيز مطر جهود سابقة في ميدان تخصصه ، علم اللغة بوجه عام ، وفي لهجات الخليج بوجه خاص . ومن قبل كانت له بحوث لغوية منها : «لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة» ١٩٦٦م، وغيره من البحوث .

أمّا إسهامه في بحوث لهجات الخليج ودراستها ، فقد أصدر فيه كتبا منها : «خصائص اللهجة الكويتية» ١٩٦٩م، و «من اسرار اللهجة الكويتية» ١٩٧٠م، وقد أصدرتهما جامعة الكويت، ثم كتاب «ظواهر نادرة في لهجات الخليج العربي» ، وكان هذا في مسيرته العلمية في هذا الطريق الذي سلكه منذ سنة ١٩٦٧ حتى الآن .

وباحث لغوي بهذا الاهتمام العلمي ببيئة معينة قمين أن يمضي فيما بدأه من جهد الى غايته ، وهي غاية علمية تعود على حقل الدراسات اللغوية بالنفع العظيم. إن شاء الله .

وفي تصوري ان اهتمام الدارسين — وبخاصة في علم اللغة — بدراسة الظواهر الصوتية البيئية ، ثم بيان الصلات الوثيقة بين تلك البيئات ، والوقوف على مدى التفاعل فيما بينها ، وتجلية الظروف المحيطة بها ، كل ذلك يؤدي — قطعا — الى مزيد من تنقية اللغة من شوائب العامية والارتفاع بلغة الخطاب العامية الى الفصحى المبسّطة ، وتلك قضيّة لا تشغل بال المختصين بعلم اللغة والدراسات النحوية فحسب . بل تشغل — بالقدر نفسه — المختصين بالدراسات الأدبية ، وبخاصة في فن القصة والمسرحية ، اذ يقفون كثيرا امام ظواهر اللهجة العامة في الحوار القصصي والمسرحي ويجدونها عائقا كبيرا يحول دون وصول الكلمة الأدبية من المغرب العربي الى المشرق العربي مثلا ، اذا ما صيغت بلهجة عامية ، اذ تستعصي على الفهم لدى من لا يقفون على أسرار اللهجات المحلية ، ولعل في جهود اللغويين ، ومحاولتهم تقريب العامية من الفصحى ما يحل كثيرا من تلك المشاكل التي أعدّها مشاكل قوية لأنها تمسّ لغتنا العربية ، لغة القرآن الكريم .

ولعل من الحق ان نشير الى أن جهود الدكتور عبد العزيز مطر هي استمرار لجهود علماء أفاضل أسهموا في هذا المجال أيضا ، ومنهم الدكتور ابراهيم أنيس فيما أصدره من كتب من بينها : «الأصوات اللغوية» ، و «في اللهجات العربية» ، و «من أسرار اللغة» .. الخ .

أما الكتاب الذي بين أيدينا فهو «دراسة صوتية في لهجة البحرين» وهو بحث ميداني ، صدر عن جامعة عين شمس سنة ١٩٨٠م في ٧٢ صفحة ، وقد قسمه الكاتب بعد المقدمة الى :

* الأصوات الأسنانية (ث، ذ، ظ) .
* صوت الضـاد .
* صوت الجيم .
* فونيم القاف
* صوت الكاف في الضمائر .

وبادىء ذي بدء نقول ، ان الدراسات اللغوية افتقرت الى البحث الميداني ، وأنه قد عابها في فترة من الفترات ، اقتصارها على البحث المكتبي — إذا صح التعبير — أو البحث النظري ، وتقوم الدراسة الميدانية — برغم مشقتها — مقام التطبيق العملي ، وتجارب التثبت ، وكأن في ذلك إحياء لسنة السلف من علمائنا ولغويينا ورواة الأدب وحملة الشواهد النحوية من مشافهتهم لأهل البادية ورُجّازها حيث اخذوا عنهم اللغة ، واستشهدوا بما ورد على ألسنتهم ، ولم يكتفوا بالالتقاء بهم بالأمصار ، بل شقّوا طريقهم بحثا عنهم ، ورحلوا اليهم بالبادية يأخذون عنهم اللغة النقية في شفافيتها البكر وطابعها الأصيل .

ما أشبه البحث الميداني اللغوي — حديثا — بما صنعه اللغويون والرواة قديما ، وهكذا كان كتاب «دراسة في لهجة البحرين —

بحث ميداني» للدكتور مطر الذي استعان بفرع من فروع علم اللغة وهو فرع المقارنة اللغويــة، الذي يستعين بنتائج الدراسة الوصفية في بيان وجوه الشبه ووجوه الخلاف بين اللغات التي تنتمي الى فصيلة واحدة، واللهجات التي تنتمي الى لغة واحدة مدركا ما لهذا التفرع من أهمية في اللغة العربية ودراسة لهجاتها، اذ يقدم نتائج ــ كما أسلفنا ــ تساعد في تقريب اللهجات من ناحية، والتقريب بينها وبين الفصحى من ناحية أخرى.

نقول قد استعان الدكتور مطر بهذا المنهج الوصفي في دراسة لهجتين تعيشان جنبا الى جنب في بلد عربي واحد وهو دولة البحرين، إحدى اللهجتين توافق لهجات عربية كثيرة أخرى، ولهجة منها توافق اللهجة السائدة في منطقة الخليج العربي، وفي كلتا اللهجتين ظواهر كثيرة توافق العربية الفصحى شأنها في ذلك شأن اللهجات العربية القديمة. ولكي يدرس ذلك، فقد قابل عددا من الناطقين باللهجتين رجالا ونساء.

وقد اطلق على إحدى اللهجتين: لهجة المحرّق، وهي الجزيرة الثانية من جزر البحرين، ومعها لهجات قرى كثيرة وجزء من مدينة المنامة.

وعلى الثانية: لهجة سترة، وهي الجزيرة الثالثة من جزر البحرين، ومعها لهجات كثيرة منها: توبلي، والكورة، والمعامير، وجد حفص، وسنابس، وجزيرة النبي صالح، وسند، وجزء من مدينة المنامة.

وهذه الدراسة المقارنة بين هاتين اللهجتين عمل يقوم به الدكتور مطر للمرة الأولى ــ في هذا الحقل ــ بما تيسر له من التجوال في البحرين على امتدادها بتشجيع من وزارة التربية والتعليم، ومن عقد المقابلات والقيام بالتسجيلات الصوتية، ودراسة المادة المسجّلة.

ويثبت الباحث في ختام بحثه «كلمة ختامية» فيفترض أن هناك من يسأل بعد قراءة البحث: هل استوعبت دراستك كل الفروق الصوتية بين لهجتي جزيرتي المحرّق وسترة؟

يقول المؤلف: «وأبادر بالاجابة: لا، وأنا أعلم هذه الحقيقة»، ويسوق لذلك اشارة الى بعض صفحات البحث. وقد ضم البحث جداول صوتية للهجتين يذكر فيها الكلمة في الفصحى، وصوت اللين الأمامي، ونطقها في اللهجة، ثم ملاحظات.

ونقف أمام أمثلة من دراسات المؤلف في هذا الكتاب:

نطق الظاء ضادا شديدة (١)

«يقول المؤلف: إذا كانت لهجة جزيرة المحرق ــ ومعها جمهرة اللهجات في شرقي شبه الجزيرة العربية ــ قد خلت من صوت الضاد الشديد المختلف عن الظاء، وخلطت في حديثها بين الضاد والظاء بحيث ينطقان كلاهما كالظاء العربية، فان لهجة جزيرة سترة ومعها لهجات أخرى في البحرين وخارج البحرين، قد خلت من الظاء الرخوة، ونطقت ما كان في العربية الفصحى بالظاء ضادا شديدة بحيث ينطقان كلاهما بالضاد.. عكس ما هو واقع في اللهجة الأولى».

نطق الجيم ياء:

يشير المؤلف الى نطق الجيم ياء في منطقة المحرّق وغيرها من البحرين، كما هو شائع في منطقة الخليج العربي كلها، والاحساء، ومناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية، ويورد لذلك ثبتا بمجموعة من الأمثلة:

في لهجة سترة	في لهجة المحرّق
وجـه	ويـه
جبهـة	يبهـة
جنـب	ينـب
رجّـال	ريّـال
جـدّه	يـدّه
جـنّي	يـنّي

ويقدم تفسيرا تاريخيا لذلك، وهو السؤال نفسه الذي وجهه أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) لأم الهيثم الأعرابية: هل تقول العرب الجيم ياء في شيء من الكلام؟ فقالت: نعم، ثم أنشدت:

إذا لم يكن فيكُنَّ ظلّ ولا جنى
فأبعدكُنَّ الله من شـيرات

أي من شجرات (٢).

وجاء المفرد شيرة، بكسر الشين وبالياء المفتوحة، في قول الراجز:
تحسبه بين الإكام شِيَرة (٣)

يقول المؤلف: «وعلى هذا يكون قول أهل الخليج: شير بكسر الشين في الجمع واردا في اللغة، وقد فسّر صاحب اللسان هذا الكسر فقال: وقالوا: شيرة فأبدلوا، فإما أن يكون على لغة من قال شجرة (بكسر الشين وفتح الجيم) واما ان تكون الكسرة لمجاورة الياء» (٤)

وقد أوردت هذه الطائفة من أمثلة الكتاب لأشير الى منهج المؤلف في تأصيل الظواهر اللغوية والرجوع بها الى مصادرها القديمة التراثية، وهذا ما يدفعني الى أن أتجه بملاحظة حول الكتاب ومنهج المؤلف.

إن استشراف المؤلف لآفاق التراث اللغوي من خلال صورة المعاصرة في بعض اللهجات العربية سواء في اللهجات البدوية في مصر، أو في لهجات الخليج يفرض على المؤلف أن يقدم لنا هذا العمل في شكل متكامل يجمع بين لهجات شبه الجزيرة في بيئاتها اللغوية المتعددة مضيفا الى جهوده السابقة جهودا طيبة مثمرة.

ونتصور أن هـذا المنهج الـذي نقترحه على المؤلف الفاضل يحقق مزية علمية ولغوية ألا وهي الوقوف على الروابط اللغوية التي تربط بين لهجات شبه الجزيـرة العربيـة في شتى بيئاتها، لأن ذلـك في ذاتـه يحقـق لنـا من خلال منهج الباحث في بحوثه المشار اليها تأصيل الظواهر اللغوية في اللهجات المعاصرة، فربما أدى بنا بحثه الى الوقوف على امتداد اللهجات العربية القديمة في جذورها الموغلة في القدم الى جنبات العصر الذي نعيشه مع حرصها على مكانها الجغرافي، أو انتقالها — جغرافيا — الى مكان آخر من الجزيرة بفعل الهجرات تارة، والترحّل تارة الى آخر ما هنالك من عوامل تغيّر المجتمعات وانتقالهـا.

هذا أمل علمي نتّـجه به الى مؤلف الكتاب نحو غاية علمية جليلة هي تأصيل الظواهر اللغوية في شبه الجزيرة العربية □

مراجـــع:

(١) قيدت هذه الضاد بأنها شديدة ليتبين أنها الضاد المعروفة في القراءات القرآنية في العصر الحاضر، وكما تسمع من المصريين. أما الضاد الخليجية والعراقية والسعودية (في الأغلب) فهي قريبة من الظاء. وهذه لا وجود لها في لهجة جزيرة سترة واللهجات المشابهة لها .. — المؤلف ص/١٦ وهامشها.

(٢) أبو الطيب اللغوي: الابدال: ١ — ٢٦١

(٣) اللســـان: شجــر.

(٤) المصدر نفســه.

أخبـــار



★ «الاعمال الشعرية الكاملة» وهي مجموعة قصائد تمثل الجزء الأول من المجموعة الشعرية الكاملة، للشاعر السعودي المعروف عبدالسلام هاشم حافظ، وهذه القصائد تحمل كل الخصائص التي يتميز بها الشاعر سواء من ناحية المزاج النفسي، أو التركيبة العاطفية، والإتجاهات الفنية، حيث يلتقي فيها الحب بالرفض والأزل بالأبد والحياة بالموت، ونحس فيها بثنائية الفنان. فهو حين يتمزق للزهرة الآدمية الناضرة ولروائها الموعود في فجر الحياة يهتف من أعماقه قائلا:

(أواه يا بنت الربيع الناضرة
يا نزهة الروح البريء ويا مناه..)

وهو لا يعيش بمعزل عن قضايا أمته والمآسي التي تعصف بها ويقول:

«هو لن يمل كفاحه وسط الزحام
لن يستكين على المظالم والظلام»

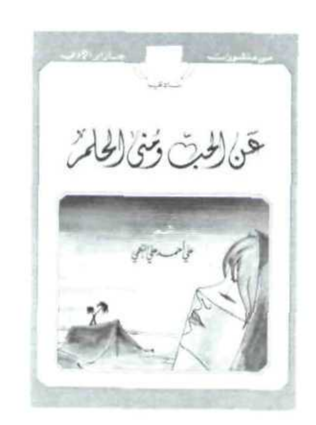
ومن المعروف ان للشاعر نتاجا أدبيا متنوعا في مجالات القصة والرواية والمقالة، والدراسات والبحوث. وتقع هذه المجموعة في ٦٣٩ صفحة، من القطع المتوسط، وهي من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

«من أضاع زواج ليلى» مجموعة قصصية، تتألف من إحدى عشر قصة قصيرة، من تأليف سميح سرحان، وتتطرق مواضيع القصص، الى جوانب اجتماعية وإنسانية من حياة أبطالها، معظمها مستلهم من البيئة الدمشقية، وتأتي العلاقات الانسانية بين الرجل والمرأة، موضوعا مطروقا في كثير من القصص، وقد تم نشر معظمها في بعض صحف المملكة، وتقع هذه المجموعة في ١٥٠ صفحة من القطع الصغير، وهي من مطبوعات مطابع الإشعاع بالرياض.

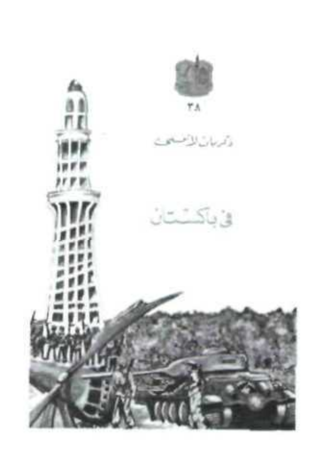


★ صدر عن نادي جازان الأدبي كتابان، الأول بعنوان «نظرات في العلم والأدب» ويحتوي على ٦٥ صفحة ضمت ثلاث محاضرات القيت في النادي في أوقات مختلفة وهي: «العلم عند العرب قبل الاسلام»، للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، و «الشعر العربي الحديث — نظرة خاصة»، للدكتور أحمد كمال زكي، و «ابن دنينير — شارع الايوبيين»، للدكتور محمود شاكر.

أما الكتاب الآخر الذي صدر عن نادي جازان فهو بعنوان «الوحي والقرآن» للأستاذ عبدالحميد ابراهيم سرحان. ويقع في ١٦٣ صفحة وهو عبارة عن رسالة قدمها المؤلف الى جامعة الأزهر بالقاهرة وحصل بها على درجة الماجستير.



★ عن «الحب ومنى الحلم» ديـوان شعري للشاعر علي احمد علي النعمي، وهو يضم مجموعة من القصائد العاطفية والوجدانية ضمنها صاحب الديوان وقفات تأملية تنم عن المناجاة. ويقع الديوان في ١١٠ صفحات من الورق الابيض الصقيل وهو من مطبوعات نادي جازان الأدبي.



★ وضمن منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي صدر الكتاب رقم ٣٨ بعنوان «ذكريات لا تنسى مع المجاهدين والمهاجرين في باكستان» للأستاذ محمد المجذوب. وهذا الكتاب هو الثالث من مشاهدات المؤلف التحليلية في بعض انحاء العالم العربي والاسلامي. ويقع الكتاب في ١٨٢ صفحة.



أما الكتاب الثاني وهو رقم ٣٩ فهو بعنوان «تحفة اللبيب من ثقافة الأديب» للأستاذ محمد المجذوب أيضا. وقد جمع المؤلف منه فصولا سبق أن درسها هو وغيره من أساتذة كليتي الشريعة والدعوة وأصول الدين في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، كما ضم اليها فصولا أخرى في الاطار ذاته بقصد إعطاء الناشئين صورة متكاملة للأدب العربي. ويقع الكتاب في ٢٣٥ صفحة.

★ كتاب (لباب الاعراب) من أشهر مصنفات النحوي الكبير تاج الدين الاسفراييني المتوفي سنة ٦٨٤هـ. فقد اودع المؤلف في كتابه هذا خلاصة ما في مفصل الزمخشري، وكافية ابن الحاجب، وجمل عبد القاهر. وبث فيه نكتا نادرة من كتاب الأصول لأبن السراج والامالي الشجرية. فجاء الكتاب كما اراد مصنفه لبابا للأعراب.

وقد قام المحقق الاستاذ بهاد الدين عبدالرحمن بدراسة الكتاب دراسة وافية تناول فيها المؤلف ومنهجه ومصادر كتابه، معتمدا على الادلة العلمية الموثقة فجاءت مبينة لشخصية المؤلف العلمية وقيمة الكتابة النحوية ومنزلته لدى العلماء.

أما التحقيق فقد اعتمد مسار النحو المقارن، والتبسيط، والتسهيل، والتقريب ممثلا للقواعد والمباحث، وكان جهد المحقق واضحا وكبيرا وشاملا لجميع ما جاء في الكتاب من آيات واحاديث وشعر وامثال وآراء واعلام.. اضافة الى انه شرح ما في الكتاب من مواضيع غامضة، واثبت في الحاشية تعليق المؤلف نفسه على كتابه المعروف بحاشية اللباب، ووضع للكتاب فهارس فنية مفصلة شاملة.

واخيرا فان كتاب اللباب، دراسة وتحقيقا، رسالة علمية نال المحقق بها درجة الماجستير في النحو والصرف بدرجة الامتياز، من كلية اللغة العربية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض.

انه كتاب من كتب تراثنا المشهورة، كان في حاجة الى احياء ونشر، وقد قامت بذلك دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع.

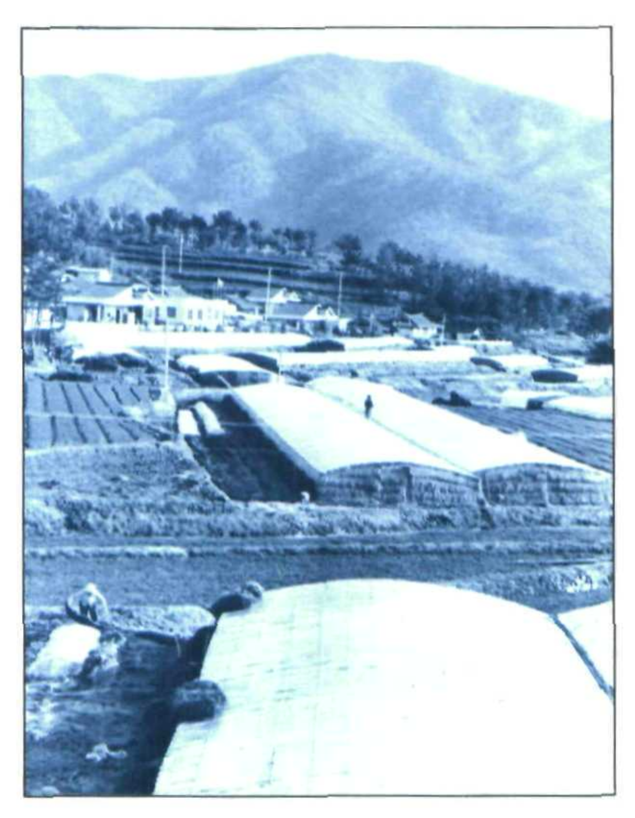
★ صدر للدكتور مسفر غرم الله الغامدي، الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض كتاب بعنوان «مقاييس نقد متون السنة». وقد قسم المؤلف كتابه بعد المقدمة والتمهيد الى ثلاثة أبواب. الأول يُعنى بمقاييس النقد عند الصحابة، والثاني بمقاييس النقد عند المحدثين، والثالث بمقاييس النقد عند الفقهاء. يقع الكتاب في نحو ٤٨٨ صفحة، عدا الفهارس التي تبلغ ما يقارب مئة صفحة.

مزارع لكل الفصول

علي حسن المرهون / هيئة التحرير



" اتجهت كوريا الجنوبية مؤخراً إلى ترويض نهر يونجسان، لتوفير المياه الكافية لأغراض التنمية الزراعية على مدار السنة وذلك في اطار تحقيق أهدافها الرامية إلى تأمين الاكتفاء الذاتي من الحبوب. "



مخازن للحبوب في احدى المزارع بالقرب من موكبو.

تعتبر كوريا الجنوبية دولة ذات طبيعة جبلية، ونظرا لتضاريسها الوعرة فان خمس مساحتها الاجمالية البالغة نحو ٩٩٥٩١ كيلومترا مربعا، صالح للزراعة فقط. وهذه النسبة لا تكفي لسد احتياجات سكانها من المواد الغذائية، والبالغ تعدادهم اربعين مليون نسمة.

ان معظم الانتاج الغذائي تتم زراعته في السهول الساحلية في الجزء الغربي والجنوبي من البلاد، الا ان هذه السهول لا تغل الا مرة واحدة في العام. كما أن موسم الامطار القصير الذي ينحصر في شهري يونيو ويوليو، يحد ايضا من القدرة الانتاجية الزراعية. وعلى الرغم من ان الامطار الموسمية توفر نحو نصف كمية الامطار التي تهطل على البلاد، فانها تسبب الكثير من الفيضانات في المناطق الزراعية. وعندما يتوقف هطول الامطار، فان فترات القحط تعمل على تجفيف مجاري الانهار والحقول، مما يؤثر على المجهودات الزراعية الى حد كبير. وفي سبيل تحقيق الاكتفاء الذاتي من الحبوب، تبنت كوريا الجنوبية عددا من البرامج الزراعية، لعل اهمها «مشروع التطوير الزراعي لحوض نهر يونجسان»، وهذا المشروع الذي سيتم تنفيذه على خمس مراحل، سوف يساعد على اضافة ١٢٦٠٠٠ هكتار الى الرقعة الزراعية الدائمة الانتاج، من بينها ٣١٠٠٠ هكتار من الاراضي الساحلية التي تغطيها مياه المد على السواحل الغربية والجنوبية من البلاد. وتمثل هذه الاراضي المستصلحة نحو ١٠ في المائة من إجمالي المساحة الزراعية في البلاد. وسيشمل هذا المشروع الطموح، انشاء احد عشر سدا، من بينها واحد على مصب النهر، وثمانية لتحويل مجرى مياهه، اضافة الى خمس وستين محطة للضخ، وقنوات للري، يبلغ مجموع اطوالها ١٧٩٣ كيلومترا تمتد عبر احدى عشرة ضاحية.

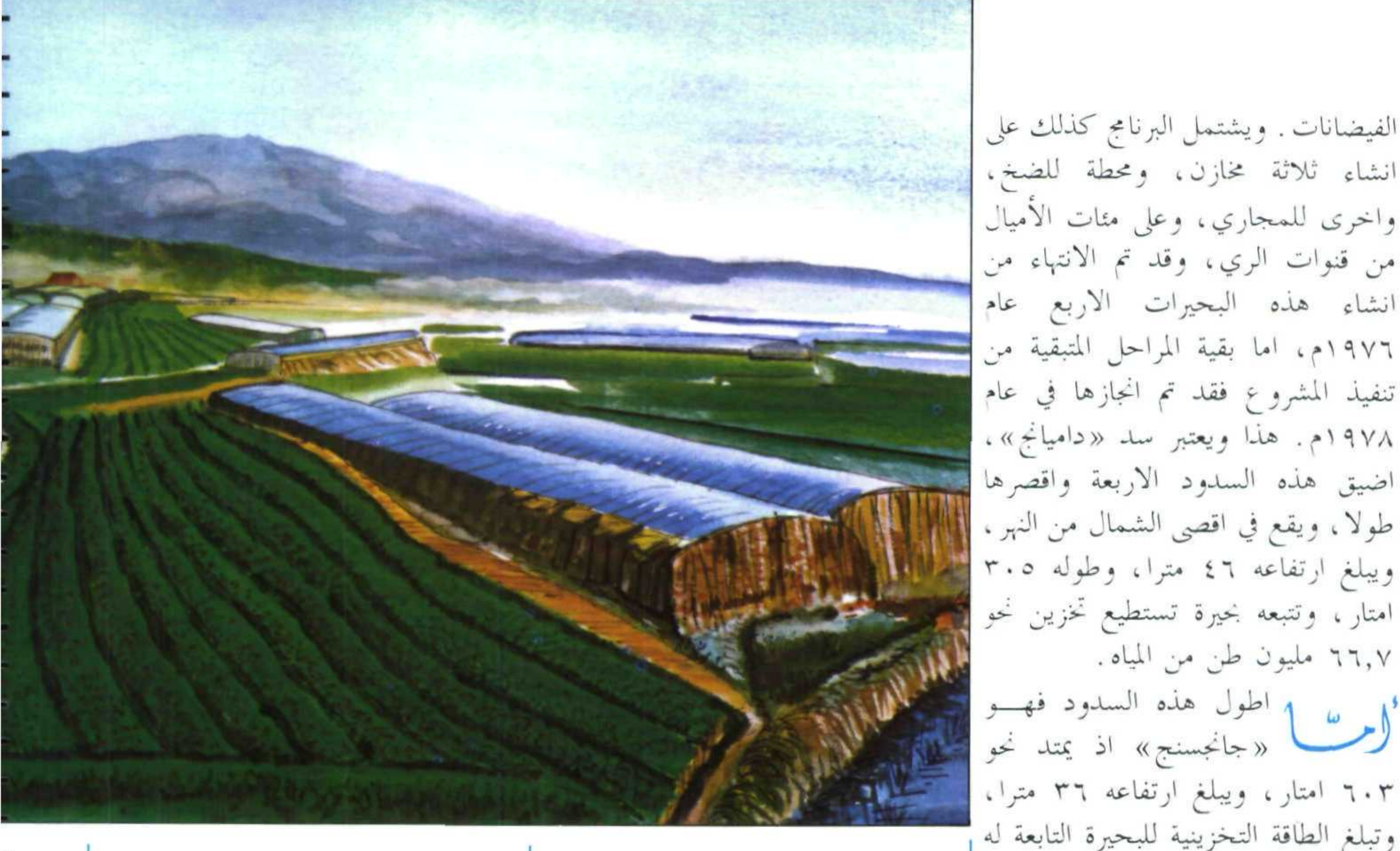


وقد بدىء العمل في هذا المشروع عام ١٩٧٢م، وينتظر ان يكتمل انشاؤه عام ١٩٩٥م، وعندئذ سوف يزيد الناتج السنوي من الارز بنحو ٣٠٩٠٠٠ طن. ويعتبر نهر يونجسان من اطول انهار كوريا الجنوبية اذ يبلغ طوله ١١٥,٥ كيلومترا، وينبع من جبال جدول بمنطقة جولاندو مخترقا سهل هونام الكبير، لينتهي في مصبه بميناء موكبو، على الحافة الجنوبية لشبه الجزيرة الكورية. وتبلغ مساحة الحوض الزراعي الذي يرويه النهر ٢٨٠٠٠٠ هكتار، من بينها ١٦٧٨٠٠ هكتار مزروعة بالارز. وهذه المساحة تشكل نحو ٣٠ في المائة من مجموع حقول الارز في البلاد، وهي واحدة من اهم اهراءات الحبوب في كوريا.

اما مصادر المياه في هذا السهل الزراعي فمتوفرة بكميات هائلة اذ تقدر بنحو ٣٦٠٠ مليون طن من الامطار السنوية. يستخدم منها نحو ٣١٠ ملايين طن فقط، لاغراض الري الزراعي، والاستهلاك المنزلي، والاستعمالات الصناعية. اما الكميات المتبقية فتذهب هدرا، حيث يتبخر بعضها، او يخترق التربة الى باطن الارض، او ينتهي الى البحر.

وفي عامي ١٩٦٧م و ١٩٦٨، أدت سنوات الجفاف المتعاقبة، الى اتلاف ثلثي المحاصيل الزراعية بمنطقة جولا. وفي عام ١٩٧٤ غمرت مياه الامطار مساحة مقدارها نحو ١٢٩٦٠٠ هكتار من المناطق الزراعية. وفي كل عام تتكرر مآسي الفيضانات ملحقة خسائر فادحة تصل الى ملايين الدولارات.

ان مشروع التطوير الزراعي لحوض نهر يونجسان، الذي تبنيه الحكومة الكورية، يستهدف اساسا حل هذه المشكلات الناجمة عن الفيضانات. فبالاضافة الى السيطرة على مياه النهر وترويضه، فانه سيتم تحديث وسائل الزراعة، وتحسين اساليب الري، وطرق استصلاح التربة. وقد بدأ تنفيذ المراحل لهذا المشروع الطموح في عام ١٩٧٢م، ببناء اربعة سدود ضخمة في اعالي نهر «يونجسان»، حيث تسببت فترات الجفاف والفيضانات المتعاقبة في هذه المنطقة في تبديد المجهودات الزراعية، وتعمل البحيرات المحجوزة خلف السدود على توفير الماء اللازم لري ما مساحته ٣٤٥٠٠ هكتار من الاراضي الزراعية، بالاضافة الى الحد من الخسائر الناجمة عن



الفيضانات. ويشتمل البرنامج كذلك على انشاء ثلاثة مخازن، ومحطة للضخ، واخرى للمجاري، وعلى مئات الأميال من قنوات الري، وقد تم الانتهاء من انشاء هذه البحيرات الاربع عام ١٩٧٦م، اما بقية المراحل المتبقية من تنفيذ المشروع فقد تم انجازها في عام ١٩٧٨م. هذا ويعتبر سد «داميانج»، اضيق هذه السدود الاربعة واقصرها طولا، ويقع في اقصى الشمال من النهر، ويبلغ ارتفاعه ٤٦ مترا، وطوله ٣٠٥ امتار، وتتبعه بحيرة تستطيع تخزين نحو ٦٦,٧ مليون طن من المياه.

أمّا اطول هذه السدود فهو «جانجسنج» اذ يمتد نحو ٦٠٣ امتار، ويبلغ ارتفاعه ٣٦ مترا، وتبلغ الطاقة التخزينية للبحيرة التابعة له نحو ٩٠ مليون طن من المياه تكفي لري ١٣٩٠٠ هكتار من الاراضي الزراعية. اما سد «ناجيو» فيبلغ ارتفاعه ٣١ مترا وطوله ٤٩٦ مترا، ويحجز خلفه بحيرة طاقتها التخزينية ٩١,٢ مليون طن من الماء تستعمل لاغراض الري.

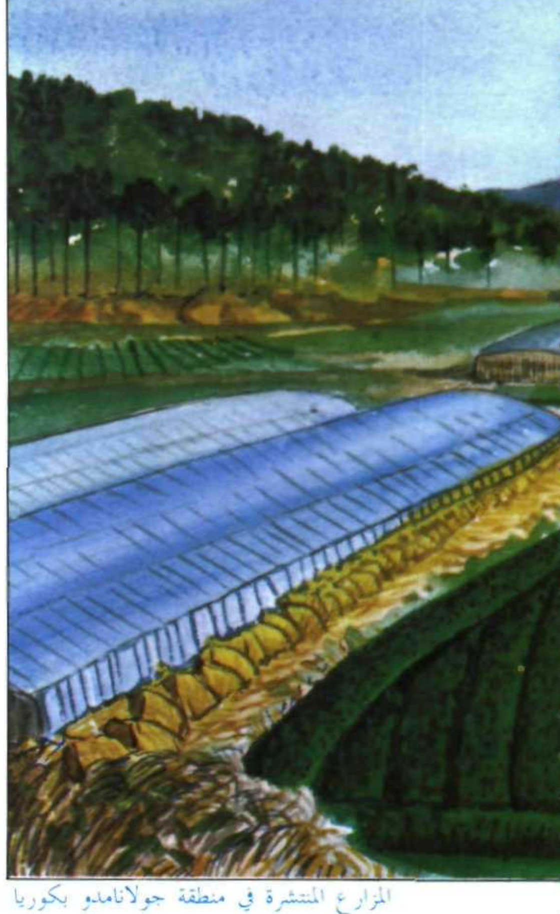
اما سد «كوانجوكيك» فهو اقل السدود الاربعة ارتفاعا، اذ يبلغ علوه ٢٥ مترا وطوله ٥٥٠ مترا، ويقع بالقرب من جبال «ميودنج» المشهورة بمنتجعاتها الجميلة، مما جعل البحيرة، التي كونها السد، مكانا سياحيا جميلا يقصده السواح والزوار.

ان سير العمل في هذا المشروع الزراعي، قد تركز في مرحلته الاولى على القسم العلوي من النهر، اما في المرحلة الثانية التي بدأت عام ١٩٧٨م فقد كان التركيز فيها على الاجزاء السفلى من النهر، ومن المنتظر ان تنتهي اعمال هذه المرحلة عام ١٩٨٦م. وقد تضمنت هذه المرحلة انشاء سد عبر المصب للسيطرة على الفيضانات في حوض النهر، ويبلغ طوله ٤٣٥٠ مترا وارتفاعه ٢٠ مترا، اما الطاقة التخزينية للبحيرة المحجوزة خلف السد، فتبلغ ٢٥,٣ مليون طن من المياه. كما تشمل هذه المرحلة تركيب ١٦ محطة ضخ، ومد قنوات رئيسية للري يبلغ طولها ١٦٤ كيلومترا، وقد صمم هذا المرفق اساسا لري ما مجموعه ١٥٦٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية في مناطق «يونجام»، و «مون»، و «هامبيونج»، بالاضافة الى استصلاح ما مساحته ٥٠٠ هكتار من الاراضي التي يغمرها المد، وتطويرها الى اراض صالحة لزراعة محصول الارز، كما انه سيتم تطوير وتنمية اراض اضافية اخرى ضمن المرحلة الثانية التي ستبلغ تكاليفها ١٦٦,٩ مليون دولار. وقد اقتضى ذلك

مزارعات من كوريا الجنوبية، يقمن بالعناية باحدى النباتات المحلية، التي تستخدم في اغراض العلاج.



مزارعان يحرثان حقلا للارز، بالجرارات الصغيرة.



المزارع المنتشرة في منطقة جولانامدو بكوريا الجنوبية، سوف تستفيد من «مشروع التطوير الزراعي لحوض نهر يونجسان» الذي تتبناه حكومة كوريا الجنوبية.



أسرة مكونة من زوج وزوجة، وهما يقومان بدرس محصول الأرز بدراسة تدار بالأقدام.





الفلاحون يعملون في حقول الشعير، وهو أحد المحاصيل الرئيسية في كوريا الجنوبية.

توسعة بحيرة «يونجسان» ليصبح طولها ٣٤٧١ مترا مربعا وعمقها ١١,٥ مترا. وقد تطلبت هذه التوسعة تركيب ثماني بوابات تحكُّم آلية ضخمة على الجانب الأيسر من بحيرة السد المقام على مصب النهر، وذلك للسيطرة على تدفق المياه. غير ان هناك مشكلة واجهها المهندسون خلال بناء السد وهي وجود سبخة بحرية يبلغ عرضها نحو ٢٠٠ متر عند القاعدة وارتفاعها ١٥,٥ مترا. مما اضطرهم الى استخدام طريقة فنية جديدة تدعى «عملية الفرشة» حيث قاموا بازالة الطبقة التي تغطي ارضية السبخة البحرية، واستبدلوها بفرشة جديدة من مادة الفنيل، وذلك منعا للتآكل الناجم عن الماء.

وعقب الانتهاء من اعمال المرحلتين الاولى والثانية، فانه من المؤمل ان يرتفع انتاج محصول الارز بحوالي ٥٦٠٠٠ طن سنويا، بالاضافة الى زيادة المحصولات الزراعية من البصل والثوم والبطاطس، ومنتوجات أخرى. اما المرحلة الثالثة من المشروع، فقد بدأت عام ١٩٨٣م، ومن المتوقع ان تنتهي عام ١٩٩٥م، وهي تشتمل على استصلاح ٣٦٥٥٠ هكتارا، وانشاء ٣١ محطة للضخ، ومد شبكة من قنوات الري تبلغ اطوالها ٧١٨ كيلومترا. اما المرحلة الرابعة والتي ستبدأ عام ١٩٨٥م وتنتهي عام ١٩٩٢، فتتضمن استصلاح اكثر من ٢٣٥٠٠ هكتار من الاراضي الزراعية، واقامة ١٦ محطة للضخ، ومد شبكة من قنوات الري يبلغ طولها حوالي ٤٠٠ كيلومتر. وفي المرحلة الخامسة التي ستبدأ عام ١٩٨٩م وتنتهي عام ١٩٩٥، سوف يصبح بالامكان استصلاح ١٠٨٠٠ هكتار من الاراضي، واقامة ستة سدود ومحطة للضخ، ومد شبكة من قنوات الري يبلغ طولها ٢١٢ كيلومترا. هذا ويأمل المهندسون في أن تسهم قنوات الري المصممة تصميما مناسبا، في تحويل ما مساحته ٢٦٩٨٠ هكتارا من اراضي السبخات البحرية التي تغمرها مياه المد، الى اراض زراعية خصبة تنتج نحو ٢٠٠٠٠٠ طن من الارز سنويا. وباستكمال هذا المشروع الزراعي الطموح، لاستصلاح وتطوير الاراضي على امتداد نهر «يونجسان»، فان كوريا الجنوبية، سوف تبلغ هدفها المنشود في تحقيق «الاكتفاء الذاتي» من انتاج الحبوب، في وقت أخذ العالم الثالث يدرك فيه اهمية الأمن الغذائي، الذي بات عماد الأمن الوطني الشامل، وحجر الزاوية الاساسي لكل بناء حضاري ناجح □

عن مجلة : «**اويل لايفستريم اف بروجرس**»

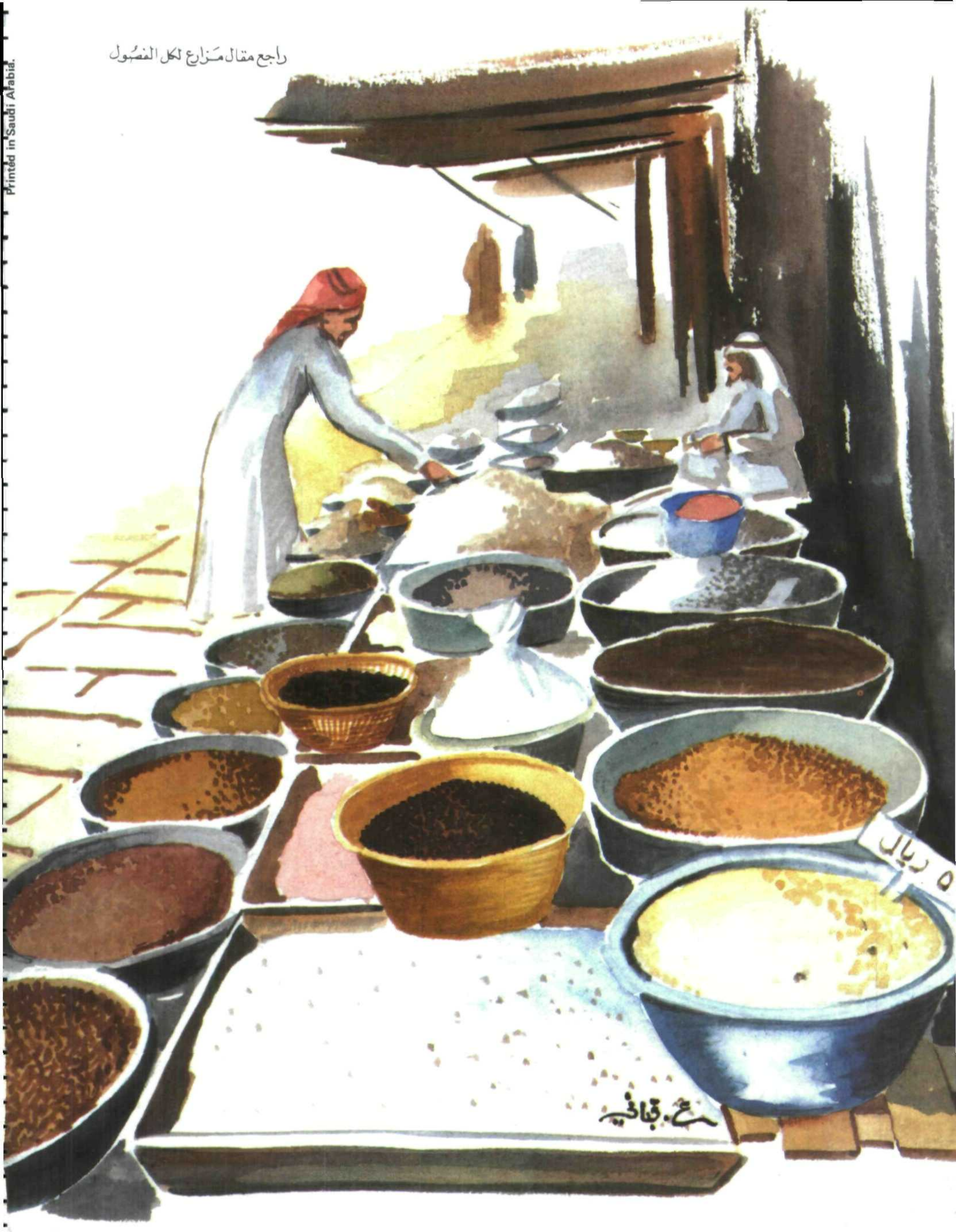


مهندس زراعي، تابع لمنظمة «الفاو» التابعة للأمم المتحدة، يقوم بقياس بعض النباتات لمعرفة معدل نموها.



نفر من الفلاحين الكوريين، يعملون في احدى قنوات الري، لتحسين مستوى تدفق الماء.

راجع مقال مَزارع لكل الفصول



Printed in Saudi Arabia.